

## سُورَةُ الْكَافِرَةِ

مَكِّيَّةٌ [إِلَّا آيَةَ ٣٨ وَمِنْ آيَةِ ٨٣ إِلَى غَايَةِ آيَةِ ١٠١ فَمَدَنِيَّةٌ]

وَأَيَّاتُهَا ١١٠ [نَزَلَتْ بَعْدَ الْغَاشِيَةِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَمْ عَوْجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكِّيَّةٌ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾

لنن الله عباده وفقهم كيف يشنون عليه ويحمدونه على أجزل نعماته عليهم، وهي نعمة الإسلام، وما أنزل على عبده محمد ﷺ من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَمْ عَوْجًا﴾: ولم يجعل له شيئاً من العوج قط، والعوج في المعاني: كالعوج في الأعيان، والمراد: نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه، وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة فيه.

فإن قلت: بم انتصب: ﴿قِيمًا﴾؟

قلت: الأحسن أن ينتصب بمضمرة ولا يجعل حالاً من الكتاب؛ لأن قوله: (ولم يجعل): معطوف على «أنزل»، فهو داخل في حيز الصلة، فجاعله حالاً من الكتاب، فاصل بين الحال وذو الحال ببعض الصلة، وتقديره: ولم يجعل له عوضاً جعله قيماً؛ لأنه إذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة.

فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الآخر؟

قلت: فائدته: التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفيح، وقيل: قيماً على سائر الكتب: مصداقاً لها، شاهداً بصحتها، وقيل: قيماً بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع، وقرئ «قِيمًا»، «أنذر»: متعد إلى

مفعولين؛ كقوله: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبا: ٤٠] فاقصر على أحدهما، وأصله: ﴿لِيُنذِرَ﴾: الذين كفروا، ﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾: والبأس من قوله: (بعذاب بئيس)، وقد يؤس العذاب، ويؤس الرجل بأساً وبأسة، ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾: صادراً من عنده، وقرئ: «من لذنيه»: بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون، ﴿وَيُبَشِّرَ﴾: بالتخفيف والتثقيل.

فإن قلت: لم اقتصر على أحد مفعولي أنذر؟

قلت: قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق إليه، فوجب الاقتصار عليه؛ والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: متعلقاً بالمنذرين من غير ذكر المنذر به، كما ذكر المبشر به في قوله: ﴿أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾: استغناء بتقدم ذكره، والأجر الحسن: الجنة، ﴿مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بالولد أو باتخاذها، يعني: أن قولهم هذا لم يصدر عن علم، ولكن عن جهل مفرط وتقليد للأباء، وقد اشتملته<sup>(١)</sup> أبائهم من الشيطان وتسويله.

فإن قلت: اتخاذ الله ولداً في نفسه محال، فكيف قيل: ما لهم به من علم<sup>(٢)</sup>؟

قلت: معناه: ما لهم به من علم؛ لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه، وإما لأنه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به، قرئ: «كبرت كلمة»، وكلمة: بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية، والنصب أقوى وأبلغ، وفيه معنى التعجب؛ كأنه قيل: ما أكبرها كلمة، و﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: صفة للكلمة تفيد استعظماً لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم، فإن كثيراً مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به ويطلقوا به ألسنتهم، بل يكظمون عليه تشوراً<sup>(٣)</sup> من إظهاره، فكيف بمثل هذا المنكر؟ وقرئ: «كبرت» بسكون الباء مع إشمام الضمة.

فإن قلت: إلام يرجع الضمير في كبرت؟

(١) قوله: «وقد اشتملته» لعله: اشتملته، بإهمال السين وسكون الميم (ع).  
(٢) قال محمود: «إن قلت اتخاذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل لهم... إلخ» قال أحمد: قد مضى له في قوله تعالى ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أن ذلك وارد على سبيل التهكم، وإلا فلا سلطان على الشرك حتى ينزل. ونظيره:

ولا يرى الضرب بها ينجح

وقد قدمت حينئذ أن الكلام وارد على سبيل الحقيقة والأصل، وأن نفي إنزال السلطان تارة يكون لاستحالة إنزاله ووجوده، وتارة يكون، لأنه لم يقع وإن كان ممكناً، والله أعلم.

(٣) قوله: «تشورا من إظهاره» أي تباعداً من إظهاره، كأنه عورة. وفي الصحاح «الشوار» الفرج. ومنه قيل: شور به، كأنه أبدى عورته (ع).

قلت: إلى قولهم: (اتخذ الله ولداً)، وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها.

﴿فَلَعَلَّكَ بَيِّحٌ نَفْسَكَ عَلَيَّ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِدَاً الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾

شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم، برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه جداً عليهم / ٢٠٧ ب وتلهفاً على فراقهم، وقرئ: «باخع نفسك»: على الأصل، وعلى الإضافة: أي قاتلها ومهلكها، وهو للاستقبال فيمن قرأ: «إن لم يؤمنوا»، وللمضي فيمن قرأ: «أن لم يؤمنوا»، بمعنى: لأن لم يؤمنوا ﴿بِهِدَاً الْحَدِيثِ﴾: بالقرآن، ﴿أَسَفًا﴾: مفعول له، أي: لفرط الحزن، ويجوز أن يكون حالاً، والأسف: المبالغة في الحزن والغضب، يقال: رجل أسف وأسيف.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آئِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾

﴿مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ يعني: ما يصلح أن يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها، ﴿لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: وحسن العمل: الزهد فيها وترك الاعتزاز بها، ثم زهد في الميل إليها بقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾: من هذه الزينة، ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ يعني: مثل أرض بيضاء لا نبات فيها، بعد أن كانت خضراء معشبة، في إزالة بهجته، وإماطة حسنة، وإبطال ما به كان زينة: من إماتة الحيوان، وتجفيف النبات والأشجار، ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض مما خلق<sup>(١)</sup> فوقها من الأجناس التي لا حصر لها، وإزالة ذلك كله كأن لم يكن، ثم قال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يعني: أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة، والكهف: الغار الواسع في الجبل، ﴿وَالرَّقِيمِ﴾: اسم كلبهم؛ قال أمية بن أبي الصلت [من الطويل]:

وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا الرَّقِيمُ مُجَاوِرًا وَصَيْدُهُمْ وَالْقَوْمُ فِي الْكَهْفِ هُمْدُ<sup>(٢)</sup>

(١) قوله: «ما خلق» لعله بما «خلق» (ع).

(٢) لامية بن أبي الصلت، والرقيم: كلب أصحاب الكهف. والوصيد: فناء البيت وبابه وعتبته، والبيت يحتملها. والهمد: جمع همد، أي: راقد. والقوم: عطف على الرقيم. يقول: ليس في تلك الصحراء إلا الكلب حال كونه مجاوراً لفناء غارهم، وإلا لقوم حال كونهم رقوداً في الكهف: أي الغار.

وقيل: هو لوح من رصاص، رقت فيه أسماءهم جعل على باب الكهف، وقيل: إن الناس رقمو حديثهم نقرأ في الجبل، وقيل: هو الوادي الذي فيه الكهف، وقيل: الجبل، وقيل: قريتهم، وقيل: مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين، ﴿كَانُوا﴾: آية، ﴿عَجَبًا﴾: من آياتنا وصفاً بالمصدر، أو على: ذات عجب، ﴿مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي: رحمة من خزائن رحمتك، وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء؛ ﴿وهي لنا من أمرنا﴾: الذي نحن عليه من مفارقة الكفار، ﴿رَشَدًا﴾: حتى نكون بسببه راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا رشداً كله؛ كقولك: رأيت منك أسداً، ﴿فَضَرْنَا عَلَيَّ إِذْ أَنبَهُمْ﴾ أي: ضربنا عليها حجاباً من أن تسمع، يعني: أنماهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات، كما ترى المستقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه، فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال: بنى على امرأته، يريدون: بنى عليها القبة، ﴿سِينِكَ عَدَا﴾: ذوات عدد، فيحتمل أن يريد الكثرة وأن يريد القلة؛ لأن الكثير قليل عنده؛ كقوله: ﴿لَرَّ يَلْتَوُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال الزجاج: إذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج أن يعد، وإذا كثر احتاج إلى أن يعد.

### ﴿ثُمَّ بَعَثْنَهُمْ لِتَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾

﴿أي﴾: يتضمن معنى الاستفهام، فعلق عنه ﴿لِتَعْلَمَ﴾: فلم يعمل فيه، وقرئ: «ليعلم»، وهو معلق عنه - أيضاً - لأن ارتفاعه بالابتداء لا بإسناد «يعلم» إليه، وفاعل «يعلم»: مضمون الجملة، كما أنه مفعول «نعلم»، ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾: المختلفين منهم في مدة لبثهم؛ لأنهم لما اتبهاوا اختلفوا في ذلك؛ وذلك قوله: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمَ لَبِثْنَا قَالَ أَيْفَ سَاءَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٤] وكان الذين قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم: هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول، أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم، و ﴿أَحْصَىٰ﴾: فعل ماض، أي: أيهم ضبط<sup>(١)</sup>، ﴿أَمَدًا﴾: لأوقات لبثهم.

فإن قلت: فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل؟

قلت: ليس بالوجه السديد؛ وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس؛ ونحو: «أعدى من الجرب»، و «أفلس من ابن المدلق»: شاذ، والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع، فكيف به؟ ولأن (أمدًا) لا يخلو: إما أن ينتصب بأفعل<sup>(٢)</sup>، فأفعل لا يعمل،

(١) قال محمود: أحصى فعل ماض، أي: لتعلم أيهم ضبط أمدًا... إلخ قال أحمد: وقد جعل بعض النحاة بناء أفعل من المزيد فيه الهمز قياساً، وادعى ذلك مذهباً لسببويه، وعلله بأن بناءه منه لا يغير نظم الكلمة، وإنما هو تعويض همزة بهمزة.

(٢) عاد كلامه. قال: «وأيضاً فلو كان للتفضيل لم يخل انتصاب أمدًا إما بأفعل... إلخ» قال أحمد: =

وإما أن ينصب بلبثوا، فلا يسد عليه المعنى، فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه أحصى؛ كما أضمر في قوله [من الطويل]:

..... وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا<sup>(١)</sup>

على: نضرب القوانس، فقد أبعدت المتناول وهو قريب؛ حيث أبيت أن يكون أحصى فعلاً، ثم رجعت مضطراً إلى تقديره وإضماره.

= ولقائل أن ينصبه على التمييز، كانتصاب العدد تمييزاً في قوله تعالى ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ ويعضد حمله على أفعال التفضيل وروده في نظير الواقعة واختلاف الأحزاب في مقدار اللبث، وذلك في قوله تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ أَنَّهُمْ طَرِيفَةٌ إِنْ لَئِن تُرُتُّ إِلَّا يَوْمًا﴾ فأمثلهم طريقة: هو أحصاهم لما لبثوا عدداً. وكلا الوجهين جائز، والله أعلم.

(١) فلم أر مثل الحي حياً مصباحاً  
أكر وأحمي للحقيقة منهم  
إذا ما شددنا شدة نصبوا لنا  
إذا الخيل حالت عن صريع نكرها  
ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا  
وأضرب منا بالسيوف القوانسا  
صدور المذاكي والرماح المداعسا  
عليهم فما يرجعن إلا عوابسا

للعباس بن مرداس السلمي، والحي بنو زيد من اليمن. وأكر: أشد كراً. وأحمي: أشد حماية. والحقيقة: ما يستحق الذب عنه من عرض ومال. والقوانس: جمع قونس، وهو أعلى بيضة الفارس وأعلى رأس الفرس. والمذاكي: الخيل العناق العتاق التي أتى عليها بعد قروحها سنة، جمع المذاكي اسم مفعول. والمداعس: الرماح الصم التي يطعن بها. والدعس بالتحريك الأثر، والمداعسة المطاعنة. والمدعس: الرمح الأصم الذي يطعن به. ويروي: جالت، بدل حالت أي: مالت إلى جول بالجيم أي ناحية. وأما الحول بالحاء فهو التحول. والصريع: الطريح على الأرض، ونكرها: نرجعها. والعوابس: كالحات الوجوه من الجري في الغبار. وحيا مصباحاً، أي: مأتياً في الصباح مفعول. ومثل الحي: حال، على أن رأى بصرية. أو مفعول ثان، على أنها علمية، وأكر: بدل من حيا، ولا يصح جعله صفة أو مفعول ثان؛ لأنك لو قلت: ما رأيت مثل زيد رجلاً أفضل منه لم يستقم المعنى إلا على البدلية؛ لأن المماثلة تنافي المفاضلة، إلا أن تكون المماثلة في صفة والمفاضلة في أخرى، فلامانع منه حينئذ. وأضرب: أفعال تفضيل، بدل من فوارس على ما تقدم، فهو لف ونشر مرتب. وأفعال التفضيل لا يعمل النصب في المفعول به، بل حكى الإجماع على ذلك، فالقوانص نصب بمحذوف، أي: يضرب القوانس أي الرؤوس، لكن قال محمد بن مسعود في كتابه البديع: غلط من قال: إن اسم التفضيل لا ينصب المفعول به، واستشهد بهذا البيت وغيره. وبين مدح الفريقين بقوله: إذا شددنا عليهم مرة قابلونا بالخيل العتاق والرماح الجيدة، فهم شجعان. ويقول: إذا مالت خيلنا أو تحولت عن قتيل منا، نرجعها عليهم لأجل الثأر، فما ترجع إلا كوالح، فنحن أشجع منهم.

ينظر: ديوانه ص ٦٩، والأصمعيات ص ٢٠٥، وحماسة البحرني ص ٤٨، وخزانة الأدب ٨/٣١٩، ٣٢١، وشرح التصريح ١/٣٣٩، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٤٤١، ١٧٠٠، ولسان العرب (قنس)، ونوادير أبي زيد ص ٥٩، خزانة الأدب ٧/٢١٠، والأشباه والنظائر ١/٣٤٤، ٧٩/٤، وأمالي ابن الحاجب ١/٤٦٠، وشرح الأشموني ١/٢٩١، ومغني اللبيب ص ٢/٦١٨، الكشف ٤/٤٢٩، الدر المصون ١/١٨٠.

فإن قلت: كيف جعل الله - تعالى - العلم بإحصائهم المدة غرضاً في الضرب على أذانهم؟

قلت: الله - عز وجل - لم يزل عالماً بذلك؛ وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم، ليزدادوا إيماناً واعتباراً، ويكون لطفاً لمؤمني زمانهم، وآية بينة لكفارهم.

﴿تَحْنُ نَفْسُ عَلَيْكَ تَبَّاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَتُولَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَكَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾: بالتوفيق والتثبيت، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: وقوفناها بالصبر على هجر الأوطان والنعيم، والفرار بالدين إلى بعض الغيران، وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام، ﴿إِذْ قَامُوا﴾: بين يدي الجبار وهو دقيانوس، من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم، ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . . .﴾: قولاً ذا شطط، وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه، من شط: إذا بعد، ومنه: أشط في السوم وفي غيره، ﴿هَتُولَاءِ﴾: مبتدأ، و ﴿قَوْمُنَا﴾: عطف بيان، ﴿وَاتَّخَذُوا﴾: خبر، وهو إخبار في معنى: إنكار، ﴿لَوْلَا يَأْتُونَكَ عَلَيْهِمْ﴾: هلا يأتون على عبادتهم، فحذف المضاف، ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾: وهو تبيكيت؛ لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال، وهو دليل على فساد التقليد، وأنه/٢٠٨ أ لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت، ﴿افترى على الله كذباً﴾: بنسبة الشريك إليه.

﴿وَإِذْ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وَإِذْ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ﴾: خطاب من بعضهم لبعض، حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم، ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾: نصب، عطف على الضمير، يعني: وإذا اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم، ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾: يجوز أن يكون استثناء متصلاً، على ما روي: أنهم كانوا يقرون بالخالق وشركون معه كما أهل مكة، وأن يكون منقطعاً، وقيل: هو كلام معترض إخبار من الله - تعالى - عن الفئة أنهم لم يعبدوا غير الله، ﴿مَرْفَقًا﴾: قرئ بفتح الميم وكسرهما، وهو ما يرتفق به: أي ينتفع، إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم، لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم، وإما أن يخبرهم به نبي في عصرهم؛ وإما أن يكون بعضهم نبياً.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ الْبَالِغِينَ وَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (١٧)

﴿تَزْوُرُ﴾ أي: تمايل، أصله: تتزاور، فخفض بإدغام التاء في الزاي أو حذفها، وقد قرئ بهما، وقرئ: تزور، وتزوار: بوزن تحمر وتحمار، وكلها من الزور وهو الميل؛ ومنه: زاره إذا مال إليه، والزور: الميل عن الصدق، ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾: جهة اليمين، وحقيقتها: الجهة المسماة باليمين، ﴿تَقْرِضُهُمْ﴾: تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم؛ قال ذو الرمة [من الطويل]:

إِلَى ظُعْنٍ يَقْرِضُنْ أَقْوَارَ مُشْرِفٍ شِمَالاً وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ<sup>(١)</sup>

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾: وهم في متسع من الكهف، والمعنى: أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها، مع أنهم في مكان واسع مفتوح معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم، وقيل: في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء ويرد النسيم ولا يحسون كرب الغار، ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: ما صنعه الله بهم - من ازورار الشمس وقرصنها طالعة وغاربة - آية من آياته، يعني: أن ما كان في ذلك سمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم؛ اختصاصاً لهم بالكرامة، وقيل: باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش، فهم في مقناة<sup>(٢)</sup> أبدأ، ومعنى: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: أن شأنهم

(١) نظرت بجرعاء السبية نظرة ضحى وسواد العين في الماء شامس إلى ظعن يقرضن أقوار مشرف شمالاً وعن أيمانهن الفوارس

لذي الرمة. وجرعاء السبية: اسم موضع، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الفاعل. وضحى: ظرف، وسواد العين... إلخ. جملة حالية، في الماء، أي: الدمع شامس، أي كثير الحركة والاضطراب. يقال: شمس الفرس والرجل شمساً، إذا ساء خلقه، والظعينة: المرأة في اليهودج أو المطية عليها امرأة أو لا، أو اليهودج فيه امرأة أو لا. والجمع ظعن وظعن وأظعان وظعاني ويقرضن أي يقطن. وأقوار مشرف: أعالي جبل مشرف. ويروى أجواز جمع جوز بمعنى المجاز والطريق، أي: يفصلنه عنهن، وشمالاً: جهة الشمال، والفوارس: اسم موضع، وجعله جمع فارس، كما قيل: تبعده المقابلة.

ينظر: ديوانه ص ١١٢، ولسان العرب (قوز)، (فرس)، (قرض) وكتاب العين ٥/٥٠، وتهذيب اللغة ٨/٣٤٢، وأساس البلاغة (قرض)، وتاج العروس (قوز)، (فرس)، ١٩/١٥، وتهذيب اللغة ٩/٢٣٨، المخصص ١٢/١١٤، وديوان الأدب: ٢/١٦٨.

(٢) قوله: «فهم في مقناة» في الصحاح: قال أبو عمرو «المقناة، والمقنوة» الذي لا تطلع عليه الشمس. وقال: غير مقناة. ومقنوة. بغير همز: نقيض المضحاة (ع).

وحديثهم من آيات الله، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾: ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم، فلطف بهم وأعانهم، وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنوية والاختصاص بالآية العظيمة، وأن كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي أصاب الفلاح، واهتدى إلى السعادة، ومن تعرض للخذلان، فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيْكَافًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَنَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾: بكسر السين وفتحها: خطاب لكل أحد، والأيقاظ: جمع يقظ، كأنكاد في نكد، قيل: عيونهم مفتحة وهم نيام، فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظاً، وقيل: لكثرة تقلبهم، وقيل: لهم تقلبتان في السنة، وقيل: تقلبة واحدة في يوم عاشوراء، وقرئ: «ويقلبهم»: بالياء، والضمير لله تعالى، وقرئ: «وتقلبهم»: على المصدر منصوباً، وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيْكَافًا﴾؛ كأنه قيل: وترى وتشاهد تقلبهم، وقرأ جعفر الصادق: «وكالبهم»، أي: وصاحب كلبهم، ﴿بَنَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ﴾: حكاية حال ماضية؛ لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى الماضي، وإضافته إذا أضيف حقيقة معرفة؛ كغلام زيد، إلا إذا نويت حكاية الحال الماضية، والوصيد: الفناء، وقيل: العتبة، وقيل: الباب، وأنشد [من الطويل]:

بِأَرْضِ قِضَاءٍ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَيَّ وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ<sup>(١)</sup>

وقرئ: «ولمليت»: بتشديد اللام للمبالغة، وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء، و ﴿رُعبًا﴾: بالتخفيف والثقل، وهو الخوف الذي يربع الصدر، أي: يملؤه؛ وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة، وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم، وقيل: لوحشة مكانهم، وعن معاوية أنه غزا الروم فمرّ بالكهف، فقال: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقال له ابن عباس - رضي الله عنه -: ليس لك ذلك، قد منع الله - تعالى - منه من هو خير منك، فقال: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم، فبعث ناساً وقال لهم: اذهبوا فانظروا، ففعلوا، فلما دخلوا الكهف بعث الله

(١) لزهير. والوصيد: الفناء والباب والعتبة. يقول: نزلت في أرض خالية من البناء، تصلني فيها الضيفان والقفاة، ليس فيها بناء له وصيد. فيسد علي فتتحجب عني الضيفان كأهل الحضرة، فنفي السد كناية عن نفي الوصيد من أصله، وإحساني بها معروف لا ينكره أحد من الناس. ينظر: تاج العروس (فضل).

ينظر: في ديوانه ١٠٧ و الدرر ٢٤٤/٥، وشرح شواهد المغني ٣٨٤/١، ولسان العرب (رجم)، وشرح قطر الندى ص ٢٦٢، وجمع الهوامع ٩٢/٢، الخزائن ١٠/٣، الدر المصون ٤٩/١.

عليهم ريحاً فأحرقتهم (٨٩٣)، وقرئ: «لو اطلعت»: بضم الواو.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَاسْتَبَشَرُوا بِرَبِّكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾: وكما أنماهم تلك النومة كذلك بعثناهم؛ إذكاراً بقدرته على الإنامة والبعث جميعاً؛ ليسأل بعضهم بعضاً ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم، فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله - تعالى - ويزدادوا يقيناً، ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكرموا به، ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: جواب مبني على غالب الظن، وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب، وأنه لا يكون كذباً وإن جاز أن يكون خطأ، ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾: إنكار عليهم من بعضهم، وأن الله أعلم بمدى لبئهم، كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله أن المدة متطاوله، وأن مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله، وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال، فظنوا أنهم في يومهم، فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك.

فإن قلت: كيف وصلوا قولهم: ﴿فَكَابَعُوا﴾ بتذاكر حديث المدة؟

قلت/ ٢٠٨ب: كأنهم قالوا: ربكم أعلم بذلك؛ لا طريق لكم إلى علمه، فخذوا في شيء آخر مما يهمكم، والورق: الفضة، مضروبة كانت أو غير مضروبة، ومنه الحديث أن عرفجة أصيب أنفه يوم الكلاب<sup>(١)</sup> فاتخذ أنفاً من ورق فأتنت، فأمره رسول الله ﷺ أن يتخذ أنفاً من ذهب (٨٩٤)، وقرئ: «بوزقكم»: بسكون الراء والواو مفتوحة أو مكسورة، وقرأ

٨٩٣ - أخرجه الواحدي في تفسيره (٣/١٤٠)، وذكره الحافظ ابن حجر في تخرجه على الكشاف، وقال: أخرجه ابن أبي حاتم وعبيد بن محمد، وأبو بكر بن أبي شيبة من رواية يعلى بن مسلم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس، وإسناده صحيح.

قال الحافظ في تخرجه الكشاف: أخرجه ابن أبي حاتم، وعبيد بن محمد، وأبو بكر بن أبي شيبة من رواية يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وإسناده صحيح. انتهى.

٨٩٤ - أخرجه أبو داود (٤/٩٢): كتاب الخاتم: باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب، حديث (٤٢٣٣)، والترمذي (٤/٢٤٠): كتاب اللباس: باب ما جاء في شد الأسنان بالذهب، حديث (١٧٧٠)، =

(١) قوله: «يوم الكلاب» في وقعة الكلاب، وهو بالضم: اسم ماء كانت عنده الواقعة، أفاده الصحاح (٤).

ابن كثير: «بورقكم»: بكسر الراء وإدغام القاف في الكاف، وعن ابن محيصة أنه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم، وهذا غير جائز؛ لالتقاء الساكنين لا على حده، وقيل: المدينة طرسوس، قالوا: وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم: دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله، دون المتكلمين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات؛ ومنه قول عائشة - رضي الله عنها - لمن سألتها عن محرم يشد عليه هميانه -: أوثق عليك نفقتك (٨٩٥)، وما حكى عن بعض صالحيك العلماء<sup>(١)</sup> أنه كان شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت الله، وتعلم منه ذلك، فكانت مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج أتوه فبذلوا له أن يحجوا به وألحوا عليه، فيعتذر إليهم ويحمد إليهم بذلهم، فإذا انفضوا عنه قال لمن عنده: ما لهذا السفر إلا شيآن: شدّ الهميان، والتوكل على الرحمن، ﴿أَيُّهَا﴾ أي: أهلها، فحذف الأهل؛ كما في قوله: ﴿وَسَلِّ الْفَرِيَّةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، ﴿أَزْكُ طَعَامًا﴾: أحل وأطيب وأكثر وأرخص، ﴿وَلَيْتَلَطَّفَ﴾: وليتكلف اللطف والنيقة<sup>(٢)</sup> فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن، أو في أمر التخفي حتى لا يعرف، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: يعني: ولا يفعلن ما يؤدي من

= والنسائي (١٦٣/٨ - ١٦٤): كتاب الزينة: باب من أصيب أنفه هل يتخذ أنفاً من ذهب، وأحمد في مسنده (٢٣/٥)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٢٣/٥). كلهم من طرق عن عبد الرحمن بن طرفة عن جده عرفجة بن أسعد فذكره.

قال الترمذي (٢٤١/٤): هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث عبد الرحمن بن طرفة، وقد روى سلم بن زبير عن عبد الرحمن بن طرفة، نحو حديث أبي الأشهب، وقد روى غير واحد من أهل العلم أنهم شذوا أسنانهم بالذهب، وفي هذا الحديث حجة لهم وقال عبد الرحمن بن مهدي: سلم بن زبير وهو وهم، وأبو سعيد الصنعاني اسمه محمد بن ميسر.

وأخرجه أحمد (٢٣/٥) عن عبد الرحمن بن طرفة بن عرفجة عن أبيه عن جده فذكره. وأخرجه أبو داود (٩٢/٤): كتاب الخاتم: باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب، حديث (٤٢٣٢) وأحمد في مسنده (٣٤٢/٤)، (٢٣/٥) من طرق عن عبد الرحمن بن طرفة بن عرفجة بن أسعد أن جده عرفجة بن أسعد أصيب أنفه.. فذكره مرسلًا.

وأخرجه أبو داود (٩٢/٤): كتاب الخاتم: باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب، حديث (٤٢٣٤) عن عبد الرحمن بن طرفة بن عرفجة بن أسعد عن أبيه عن جده، فذكر معناه مرسلًا. قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أصحاب السنن من رواية عبد الرحمن بن طرفة. عن عرفجة. وفي رواية بعضهم «أن عرفجة».

٨٩٥ - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب المناسك كما في تخريج الكشاف (٣٠٢/٢) وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح عنهما بذلك. انتهى.

(١) قوله: «عن بعض صالحيك العلماء» أي فقرائهم (ع).

(٢) قوله: «والنيقة» أي: الإبتقان (ع).

غير قصد منه إلى الشعور بنا، فسمى ذلك إشعاراً منه بهم؛ لأنه سبب فيه الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾: راجع إلى الأهل المقدر في (أيها): ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم أحيث القتلة وهي الرجم، وكانت عادتهم، ﴿أَوْ يُبِيدُوكُمْ﴾: أو يدخلوكم، ﴿فِي بِلَاتِهِمْ﴾: بالإكراه العنيف ويصيروكم إليها، والعود في معنى: الصيرورة أكثر شيء في كلامهم، يقولون: ما عدت أفعل كذا، يريدون ابتداء الفعل، ﴿وَلَكِنْ تَقْلِحُوا إِذَا أَبَكَا﴾: إن دخلتم في دينهم.

﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وكما أمنناهم وبعثناهم، لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم، ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم، ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: وهو البعث؛ لأن حالهم في نومتهم وانتباهتهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث، و ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ﴾: متعلق بأعترنا، أي: أعرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث، فكان بعضهم يقول: تبعث الأرواح دون الأجساد، وبعضهم يقول: تبعث الأجساد مع الأرواح؛ ليرتفع الخلاف، وليتبين أن الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت، ﴿فَقَالُوا﴾: حين توفى الله أصحاب الكهف، ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا﴾: على باب كهفهم؛ لئلا يتطرق إليهم الناس ضناً بتربتهم، ومحافظة عليها، كما حفظت تربة رسول الله ﷺ بالحظيرة، ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾: من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم، ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾: على باب الكهف، ﴿مَسْجِدًا﴾: يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم، وقيل: «إذ يتنازعون بينهم أمرهم» أي: يتذاكر الناس بينهم أمر أصحاب الكهف، ويتكلمون في قصتهم وما أظهر الله من الآية فيهم، أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا، كيف يخفون مكانهم؟ وكيف يسدون الطريق إليهم؟ فقالوا: ابنوا على باب كهفهم بيوتاً، روي أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكروها على عبادتها، وممن شدد في ذلك دقيانوس، فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل، فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه، ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطرده، فأنطقه الله فقال: ما تريدون مني، أنا أحب أحياء الله، فناموا وأنا أحرسكم، وقيل: مروا براع معه كلب فتبعهم<sup>(١)</sup> على دينهم، ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون

(١) قوله: «وقيل: مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم» لعل بعده سقطاً تقديره: وتبعهم الكلب، كما في الخازن (ع).

الله فيه، ثم ضرب الله على آذانهم، وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن، وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين، فدخل الملك بيته، وأغلق بابه، ولبس مسحاً، وجلس على رماد، وسأل ربه أن يبين لهم الحق، فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف؛ ليتخذة حظيرة لغنمه، ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياح الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس: اتهموه بأنه وجد كنزاً، فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة، فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم، وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث، ثم قالت الفتية للملك: نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس، ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم، فألقى الملك عليهم ثيابه، وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب، فرأهم في المنام كارهين للذهب، فجعلها من الساج، وبنى على باب الكهف مسجداً، ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾: من كلام/ ٢٠٩ أ المتنازعين؛ كأنهم تذكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم، فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا: ربهم أعلم بهم، أو هو من كلام الله - عز وجل - رد لقول الخائفين في حديثهم من أولئك المتنازعين، أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُمْ كَلْبَهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٢٢)

﴿سَيَقُولُونَ﴾: الضمير: لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله ﷺ من أهل الكتاب والمؤمنين، سألوا رسول الله ﷺ عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم؛ فنزلت، إخباراً بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم، وأن المصيب منهم من يقول: سبعة وثامنهم كلبهم، قال ابن عباس - رضي الله عنه - : أنا من أولئك القليل، وروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد وكان يعقوبياً: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وكان نسطورياً: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين؛ وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله ﷺ عن لسان جبريل - عليه السلام - وعن عليّ - رضي الله عنه - : هم سبعة نفر أسماؤهم: يملیخا، ومكشلیتیا، ومشلینیا: هؤلاء أصحاب يمين الملك، وكان عن يساره: مرنوش، ودبرنوش، وشادنوش، وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره، والسابع: الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس، واسم مدينتهم: أفسوس، واسم كلبهم: قطمير.

فإن قلت: لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين؟

قلت: فيه وجهان: أن تدخل الآخرين في حكم السين؛ كما تقول: قد أكرم وأنعم، تريد: معنى التوقع في الفعلين جميعاً؛ وأن تريد يفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له، ﴿رَبِّمًا بِالْغَيْبِ﴾: رميةً بالخبر الخفي وإتياناً به؛ كقوله: (ويقدفون بالغيب) [سبا: ٥٣] أي: يأتون به، أو وضع الرجم موضع الظن، فكأنه قيل: ظناً بالغيب؛ لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن، حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين؛ ألا ترى إلى قول زهير [من الطويل]:

..... وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجُمِ<sup>(١)</sup>

أي: المظنون، وقرئ: «ثلاث رابعهم»: بإدغام التاء في تاء التانيث، و ﴿ثَلَاثَةٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي: هم ثلاثة، وكذلك: ﴿خَمْسَةٌ﴾، و ﴿سَبْعَةٌ﴾، و ﴿زَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة؛ وكذلك: ﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ و ﴿ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

فإن قلت: فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة، ولم دخلت عليها دون الأولين<sup>(٢)</sup>؟

(١) وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم لزهير من معلقته، ينهي عيسياً وذبيان عن القتال. يقول: ليست الحرب إلا التي علمتموها وجربتموها، وشبهها بمطعم مكرهه على طريق الكناية والذوق تخييل، وما هو: أي الحديث عن الحرب، ولما كان الضمير عائداً على المصدر في المعنى صح تعلق المجرور به، ويبعد تعلقه بما بعده. والترجيم: الرمي بالرجام وهي الحجارة الصغار، استعير لإلقاء الكلام بلا روية ولا فكر على طريق التصريحية.

(٢) قال محمود: إن قلت «لم دخلت الواو في الجملة الأخيرة... إلخ»؟ قال أحمد: وهو الصواب، لا كمن يقول: إنها واو الثمانية فإن ذلك أمر لا يستقر لمثبته قدم، ويعدون مع هذه الواو في قوله في الجنة ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ بخلاف أبواب النار، فإنه قال فيها ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ قالوا: لأن أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة. وهب أن في اللغة واواً تصحب الثمانية فتختص بها، فأين ذكر العدد في أبواب الجنة حتى ينتهي إلى الثامن فتصحب الواو، وربما عدوا من ذلك ﴿وَالْكَافُورَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وهو الثامن من قوله (التائبون) وهذا أيضاً مردود بأن الواو إنما اقترنت بهذه الصفة، لتربط بينها وبين الأولى التي هي الأمور بالمعروف، لما بينهما من التناسب والربط. ألا ترى اقترانهما في جميع مصادرهما ومواردهما، كقوله ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وكقوله ﴿وَأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾ وربما عد بعضهم من ذلك الواو في قوله ﴿يَسْتَبِينَ وَابْتِكَارًا﴾ لأنه وجدها مع الثامن، وهذا غلط فاحش، فإن هذه واو التقسيم، ولو ذهب تحذفها فنقول: نيبات أبكاراً، لم يستد الكلام، فقد وضع أن الواو في جميع هذه المواضع المعدودة واردة لغير ما زعمه هؤلاء، والله الموفق.

قلت: هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجر: ١٤]، وفانتهها: تأكيد لصوق الصفة بالموصوف؛ والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: سبعة وثامنهم كلبهم، قالوه عن ثبات علم، وطمأنينة نفس، ولم يرحموا بالظن كما غيرهم، والدليل عليه أن الله - سبحانه - اتبع القولين الأولين قوله: ﴿رَبِّمًا بِالْقَيْبِ﴾، وأتبع القول الثالث قوله: (ما يعلمهم إلا قليل)، وقال ابن عباس - رضي الله عنه - حين وقعت الواو انقطعت العدة، أي: لم يبق بعدها عدة عادّة يلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات، وقيل: إلا قليل من أهل الكتاب، والضمير في (سيقولون): على هذا لأهل الكتاب خاصة، أي: سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا، ولا علم بذلك إلا في قليل منهم، وأكثرهم على ظنّ وتخمين، ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾: فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جداولاً ظاهراً غير متعمق فيه، وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد، من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الردّ عليهم؛ كما قال: ﴿وَجَدَلْتَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ﴾: ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال متعنت له، حتى يقول شيئاً فترده عليه وتزيّف ما عنده؛ لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة، ولا سؤال مسترشد؛ لأن الله قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأْنِي﴾ إِي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكَرَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ

وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأْنِي﴾: ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه، ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ﴾: الشيء، ﴿غَدًا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان، ولم يرد الغد خاصة، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: متعلق بالنهي لا بقوله: إني فاعل؛ لأنه لو قال: إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله، كان معناه: إلا أن تعترض مشيئة الله دون<sup>(١)</sup> فعله؛ وذلك مما لا مدخل فيه للنهي، وتعلقه بالنهي على وجهين:

(١) قال محمود: «كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله... الخ» قال أحمد: ولا بد من حمل الكلام على أحد الوجهين المذكورين، ولولا ذلك لكان المعنى على الظاهر بيادئ الرأي: ولا تقولن شيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله أن تقول هذا القول، وليس الغرض ذلك، وإنما الغرض النهي عن هذا القول إلا مقروناً بقول المشيئة، وليت شعري ما معنى قول الزمخشري في تفسير الآية، كان المعنى: إلا أن تعترض المشيئة دونه، معتقداً أن مشيئة الله تعالى لا تعترض على فعل أحد، فكم شاء من الأفعال فتركت، وكم شاء من التروك ففعلت على زعم القدرية، فلا معنى على =

أحدهما: ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله، بأن يأذن لك فيه.

والثاني: ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله، أي: إلا بمشيئة الله، وهو في موضع الحال، يعني: إلا ملتبساً بمشيئة الله قائلاً: إن شاء الله، وفيه وجه ثالث، وهو: أن يكون (إن شاء الله)<sup>(١)</sup> في معنى كلمة تأييد، كأنه قيل: ولا تقولنه أبداً؛ ونحوه قوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٨٩]؛ لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله، وهذا نهي تأديب من الله لئيبه حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن الروح، وعن أصحاب الكهف / ٢٠٩ ب، وذوي القرنين، فسألوه، فقال: اتوني غداً أخبركم ولم يستثن، فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبت قريش، ﴿وَأَذْكَرَ رَبِّكَ﴾ أي: مشيئة ربك، وقل: إن شاء الله، إذا فرط منك نسيان لذلك، والمعنى: إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبتهت عليها فتداركها بالذكر<sup>(٢)</sup>، وعن ابن عباس - رضي الله عنه -: ولو بعد سنة ما لم تحنث، وعن سعيد بن جبير: ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة، وعن طاوس: هو على ثنيه<sup>(٣)</sup> ما دام في مجلسه، وعن الحسن نحوه، وعن عطاء: يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة، وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولاً، ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس - رضي الله عنه - في الاستثناء المنفصل، فاستحضره لينكر عليه: فقال أبو حنيفة: هذا يرجع عليك؛ إنك لتأخذ البيعة بالآيمان، أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك؟ فاستحسن كلامه ورضي عنه (٨٩٦)، ويجوز أن يكون المعنى: واذكر<sup>(٤)</sup> ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء؛ تشديداً في البعث

٨٩٦ - أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٠٣/٤) من حديث الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: ... فذكره، وقال الحاكم وكان الأعمش يأخذ بها، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أ.هـ. وأخرجه الطبراني في معجمه الوسط كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣٠٣/٢).

= أصلهم الفاسد لتعليق الفعل بالمشيئة قولاً وهو غير متعلق بها وقوعاً، حتى أن قول القائل: لا أفعل كذا إلا أن يشاء الله أن أفعله: كذب وخلف بتقدير فعله إذا كان من قبيل المباح، لأن الله تعالى لا يشاؤه على زعمهم الفاسد، فما أبعد عقدهم من قواعد الشرع فسحقاً سحقاً.

- (١) قوله: «إن شاء الله» لعله أن يشاء الله (ع).
- (٢) عاد كلامه. قال: «وقوله ﴿وَأَذْكَرَ رَبِّكَ إِذَا نَسَيْتَ﴾ أي كلمة الاستثناء ثم تنبتهت لها، فتداركها بالذكر. وعن ابن عباس: ولو بعد سنة ما لم تحنث إلى قوله: وعند عامة الفقهاء... إلخ» قال أحمد: أما ظاهر الآية فمقتضاه الأمر بتدارك المشيئة متى ذكرت ولو بعد الطول. وأما حلها لليمين حينئذ فلا دليل عليه منها، والله أعلم.
- (٣) قوله: «هو على ثنيه» في الصحاح «الثنيه» بالضم: الاسم من الاستثناء (ع).
- (٤) قال محمود: «ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح... إلخ» قال أحمد: ويؤيد هذا التأويل =

على الاهتمام بها، وقيل: واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به؛ وقيل: واذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي، وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها، و ﴿هَذَا﴾: إشارة إلى نبي أصحاب الكهف، ومعناه: لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشداً من نبي أصحاب الكهف، وقد فعل ذلك؛ حيث أتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل، والظاهر أن يكون المعنى: إذا نسيت شيئاً فاذكر ربك، وذكر ربك عند نسيانه أن تقول: عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه، ﴿رَشَدًا﴾: وأدنى خيراً ومنفعة، و لعل النسيان كان خيرة؛ كقوله: ﴿أَزْنِيهَا نَاتٍ بِحَيْرٍ مِّنْهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

﴿وَلِيُسَوِّدْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ ٢٥ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُسَوِّدْ لَهُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ٢٦ ﴿﴾

﴿وليسوا في كهفهم ثلاثمائة سنين﴾: يريد لبثهم فيه أحياء مضروباً على أذانهم هذه المدة، وهو بيان لما أجمل في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ١١، ومعنى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُسَوِّدْ﴾: أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدّة لبثهم، والحق ما أخبرك الله به، وعن قتادة: أنه حكاية لكلام أهل الكتاب، و (قل الله أعلم): رد عليهم، وقال في حرف عبد الله: وقالوا لبثوا، وسنين: عطف بيان لثلاثمائة، وقرئ: «ثلاثمائة سنين»: بالإضافة، على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز؛ كقوله: ﴿وَالْآخِرِينَ نَعْمَلًا﴾ [الكهف: ١٠٣]، وفي قراءة أبي: «ثلاثمائة سنة»، ﴿تِسْعًا﴾: تسع سنين؛ لأن ما قبله يدل عليه، وقرأ الحسن: «تسعاً»: بالفتح، ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والأرض وخفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده العالم به، وجاء بما دل على التعجب من إدراكه المسموعات والمبصرات؛ للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين؛ لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرهما، كما يدرك أكبرها حجماً وأكثفها جرماً، ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر، ﴿تَمَّالَهُمُ﴾ الضمير: لأهل السموات والأرض، ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾: من متول لأمرهم، ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ﴾: في قضائه، ﴿أَحَدًا﴾: منهم، وقرأ الحسن: «ولا تشرك»: بالتاء والجزم على النهي.

= بقوله تعالى أول القصة ﴿أَزْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيبِ كَانُوا مِنَّآئِنَّا عَجَابًا﴾ ١٦ فانفتح ذكر القصة بتقليل شأنها وإنكار عده من عجائب آيات الله، ثم ختمها بأمره عليه الصلاة والسلام بطلب ما هو أرشد وادخل في الآية والله أعلم.

﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ

مُلْتَحَمًا ﴿٢٧﴾

كانوا يقولون له: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، ف قيل له: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ﴾: من القرآن ولا تسمع لما يهدون به من طلب التبديل، فلا مبدل لكلمات ربك، أي: لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها؛ إنما يقدر على ذلك هو وحده، ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: ١٠]، ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَمًا﴾: ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك.

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ

فُرُطًا ﴿٢٨﴾

وقال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله ﷺ: نَحْ هؤلاء الموالى الذين كان ريحهم ريح الضأن، وهم: صهيب، وعمار، وخباب، وغيرهم من فقراء المسلمين، حتى نجالسك، كما قال قوم نوح: ﴿أَنْزَيْنُ لَكَ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]؛ فنزلت: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: واحبسها معهم وثبتها؛ قال أبو ذؤيب [من الكامل]:

فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لِذَلِكَ حُرَّةٌ تَرَسُو إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطَلَّعُ<sup>(١)</sup>  
﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾: دائمين على الدعاء في كل وقت، وقيل: المراد: صلاة الفجر والعصر، وقرئ: «بالغدوة»، و«بالغداة»: أجود؛ لأن غدوة علم في أكثر الاستعمال، وإدخال اللام على تأويل التكرير؛ كما قال [من الطويل]:

..... وَالزَّيْدُ زَيْدُ الْمَعَارِكِ<sup>(٢)</sup> .....

(١) لأبي ذؤيب في مرثية بنبيه، وصبرت: أي حست نفساً عارفة لذلك البلاء، وضمن عارفة معنى صابرة فعدها باللام، جسة: أي قوية صلبة. ويروى: حرة، بضم الحاء، أي جيدة. ترسو: تطمئن وتسكن، إذا تطلع نفس الجبان وتجزع كأنها تريد الفرار وأصله تتطلع، حذف منه إحدى التاءين تخفيفاً.

نسب هذا البيت لعنترة ينظر: ديوانه (٤٩). وينظر: البحر المحيط ٢٢٥/٥ واللسان (صبر) وروح المعاني ٥٧/١٢، والتهذيب ٣٤٤/٢، والدر المصون ١٠٠/٤.

(٢) وقد كان منهم حاجب وابن أمه أبو جندل والزيد زيد المعارك دخلت «أل» المعرفة على «زيد» وهو علم لتأريله بالمسمى يزيد، ولذلك أضافه للمعارك، أي أمكنة الحروب. يقول: وقد كان من هؤلاء القوم حاجب بن لقيط بن زرارة وابن أمه، أي أخوه أبو جندل والمسمى يزيد، المعد للحروب. وفيه إشارة إلى أنه يعرف بذلك فيما بين الناس.

ونحوه قليل في كلامهم، يقال: عداه إذا جاوزه ومنه قولهم، عدا طوره، وجاءني القوم عدا زيدا؛ وإنما عدى بعن؛ لتضمين عدا معنى نبا وعلا، في قولك: نبت عنه عينه وعلت عنه عينه: إذا اقتحمته ولم تعلق به.

فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين؟ وهلا قيل: ولا تعدهم عينك، أو لا تعلق عينك عنهم؟

قلت: الغرض فيه: إعطاء مجموع معنيين؛ وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ؛ ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عينك مجاوزتين إلى غيرهم؟ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِنَّ أَمْوَالَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، أي: ولا تضموها إليها آكلين لها، وقرئ: «ولا تعد عينك»، «ولا تعد عينك»<sup>(١)</sup>: من أعداه وعداه نقلاً بالهمزة وتثقيب الحشو؛ ومنه قوله [من البسيط]:

فَعَدُّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا أَرْتَجِعَ لَهُ .....

(١) قال السمين الحلبي: ورد عليهما الشيخ: بأنه لو كان تعديه في هاتين القراءتين بالهمزة، أو التضعيف لتعدي لاثنتين، لأنه قبل ذلك متعد لواحد بنفسه. وقد أقر الزمخشري بذلك، حيث قال: «يقال: عداه إذا جاوزه، وإنما عُدِّي بِـعَنْ» لتضمنه معنى: علا، ونبا، فحينئذ يكون «أفعل، وفعل» مما وافق المجرد، وهو اعتراض حسن. قوله: «تريد» جملة حالية، ويجوز أن يكون فاعل «تريد» المخاطب، أي: تريد أنت، ويجوز أن يكون ضمير العينين، وإنما وُحِدَ، لأنهما متلازمان يجوز أن يخبر عنهما خبر الواحد.

قال الشيخ: وصاحب الحال أن قدر عينك، فكان يكون التركيب تريدان. «قُلْتُ: عَفَّلَ عَنِ الْقَاعِدَةِ، التي ذكرتها من أن الشيتين المتلازمين يجوز أن يخبر عنهما إخبار الواحد. ثم قال: وإن قدر الكاف فمجيء الحال من المجرور بالإضافة مثل هذا فيه الإشكال، لاختلاف العامل في الحال وذو الحال، وقد أجاز ذلك بعضهم إذا كان المضاف جزءاً أو كالجزم، وحسن ذلك أن المقصود نهيُّه هو - عليه السلام - وإنما جيء بقوله: «عينك» والمقصود هو، لأنهما بهما يكون المراعاة للشخص والملفت له. قُلْتُ: وقد ظهر لي وجه حسن لم أر غيري ذكره وهو: أن يكون «تعد» مسنداً لضمير المخاطب ﷺ و«عيناك» بدل من الضمير بدل بعض من كل، و«تريد» على وجهيها من كونها حالاً من «عيناك»، أو من الضمير في «تعد»، إلا إن جعلها حالاً من الضمير في «لَا تُعَدُّ ضَعْفًا، من حيث إن مراعاة المبدل منه، بعد ذكر البدل قليل جداً، تقول: الجارية حُسْنُهَا فَاتِنٌ، ولا يجوز: فَاتِنَةٌ. انتهى. الدر المصون.

(٢) فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له وانم القتود على عيرانة أجد للنابعة الديباني. ونما ينمى نمياً: زاد وارتفع. ونما ينميه نمياً: رفعه وزاده. ونما ينمو نمواً من باب دخل. ونما ينمو نمواً أيضاً، لكن الواوي قليل. والقتود: جمع أقتاد، جمع قند: وهي عيدان الرحل بلا أداة. والعيرانة: الشبيهة بالبعير في سرعة السير. والأجد: الصلبة الموثقة الخلق. يقول: انصرف عما ترى من آثار الديار، أو عما تظن رجوعه؛ لأنه لا تدارك له أو لا رجوع له، وارفع عيدان الرحل على ناقة سريعة صلبة، كناية عن أمره بالسفر؛ لأن شد الرحال لا يكون إلا له. =

لأن معناه: فقد همك عما ترى، نهي رسول الله ﷺ أن يزدري بفقرء المؤمنين، وأن تنبو عينه عن رثائه زيهم طموحاً إلى زبي الأغنياء وحسن شارتهم<sup>(١)</sup>، ﴿ثُرَيْدُ زَيْبَةَ الْحَيَوَةِ الذُّبِّيِّ﴾: في موضع الحال، ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ / ٢١٠: من جعلنا قلبه غافلاً<sup>(٢)</sup> عن الذكر بالخذلان<sup>(٣)</sup>، أو وجدناه غافلاً عنه؛ كقولك: أجبنته وأفحمته<sup>(٤)</sup> وأبخلته، إذا وجدته كذلك، أو من أغفل إبله إذا تركها<sup>(٥)</sup> بغير سمة، أي: لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان وقد أبطل الله توهم المجبرة<sup>(٦)</sup> بقوله: ﴿وَأَتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، وقرئ: «أغفلنا قلبه»، بإسناد الفعل إلى القلب على معنى: حسبنا قلبه غافلين؛ من أغفلته إذا وجدته غافلاً، ﴿فُرطًا﴾: متقدماً للحق والصواب<sup>(٧)</sup>، نابذاً له وراء ظهره من قولهم: «فرس فرط»: متقدم للخيل.

﴿وَقِيلَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يَغَافُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾

- = ينظر: ديوانه ص (١٦)، ولسان العرب (قتد)، (نمى)، كتاب العين (٢/٢١٥)، مقياس اللغة (١/٦٢) (٤/٢٥١)، تهذيب اللغة (١٥/٥١٧)، تاج العروس (قتد) (نمى)، الدر المصون (٤/٤٤٩).
- (١) قوله: «وحسن شارتهم» في الصحاح: الشوار والشارة: اللباس والهيئة (ع).
- (٢) قال محمود: «معناه جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر... إلخ» قال أحمد: هو يشمر للهرب من الحق، وهو أن المراد خلقنا له، وجدير به أن يشمر في اتباع هواه، فإن حمل «أغفل» على بابه صرفه إلى الخذلان، وإلا أخرجه بالكلية عن بابه إلى باب أفعال للمصادفة، ولا يتجرأ على تفسير فعل أسنده الله إلى ذاته بالمصادفة إلى تفهيم وجدان الشيء بغتة عن جهل سابق وعدم علم.
- (٣) قوله: «غافلاً عن الذكر بالخذلان» يتحاشى بذلك عن خلق الغفلة في قلبه؛ لأن الله لا يخلق الشر عند المعتزلة، وأهل السنة على خلاف ذلك كما أشار إليه بقوله: توهم المجبرة. ثم إن اتباعه هواه لا ينافي خلق الله الغفلة في قلبه، لجواز أن يكون ذلك ناشئاً عن الغفلة (ع).
- (٤) قوله: «كقولك أجبنته وأفحمته» في الصحاح «أفحمته» وجدته مفحماً لا يقول الشعر (ع).
- (٥) عاد كلامه. قال: «ويجوز أن يكون المعنى من أغفل إبله إذا... إلخ» قال أحمد: وهذا التأويل فيه رقة حاشية ولطافة معنى، وغرضه منه الخلاص مما قدمناه، لأنه وإن أبى خلق الله للغفلة في القلب فلا يأبى عدم كتب الإيمان، وإنما غرضنا التنبيه على أن مقصد الزمخشري الحيد عن القاعدة المتقدمة، والتأويل إنما يصار إليه إذا اعتناص الظاهر وهو عندنا ممكن، فوجب الاعتصام به، والله الموفق.
- (٦) عاد كلامه. قال: «وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله: وأتبع هواه» قال أحمد: قد تقدم في غير ما موضع أن أهل السنة يضيفون فعل العبد إلى الله تعالى من حيث كونه مخلوقاً له، وإلى العبد من حيث كونه مقروناً بقدرته واختياره، ولا تنافي بين الإضاقتين، فبراهين السنة تتبعه أينما سلك وأية توجه، فلامحيص له عنها بوجه.
- (٧) قوله: «متقدماً للحق والصواب» أي سابق له ومجاوز له، وفي الصحاح: أمر فرط، أي مجاوز فيه الحد. ومنه قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرٌ فُرطًا﴾.

﴿وَقُلِ الْعَفْءُ مِنْ رِزْقِكُمْ﴾: الحق خير مبتدأ محذوف، والمعنى: جاء الحق وزاغت العليل<sup>(١)</sup>، فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك، وجيء بلفظ الأمر والتخيير؛ لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء، فكانه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين، شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق، وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط، وبيت مسردق: ذو سرادق، وقيل: هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار، وقيل: حائط من نار يطيف بهم<sup>(٢)</sup>، ﴿يُنَادُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾؛ كقوله [من الكامل]:

..... فَأَغْتَبُوا بِالصَّنَائِمِ<sup>(٣)</sup>

وفيه تهكم، والمهل: ما أذيب من جواهر الأرض، وقيل: دردي الزيت، ﴿بَشَوَى الْوُجُوهَ﴾: إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته، عن النبي ﷺ: «هُوَ كَعُكْرِ الزَّيْتِ» (٨٩٧)، ﴿إِذَا قَرَّبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فَرْوَةٌ وَجْهَهُ﴾، ﴿بَنَسَ الشَّرَابُ﴾: ذلك، ﴿وَسَاءَتْ﴾: النار،

٨٩٧ - أخرجه الترمذي (٧٠٥ - ٧٠٤/٤): كتاب صفة جهنم: باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، حديث (٢٥٨١)، و(٤٢٦/٥): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة سأل سائل، حديث (٣٣٢٢)، من طريق رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري به. وقال الترمذي (٧٠٥/٤): هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد، ورشدين قد تكلم فيه. وقال أيضاً في (٤٢٦/٥): هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٥١٤/١٦ - ٥١٥) رقم (٧٤٧٣) والحاكم في «المستدرک»: (٢/٥٠١) كلهم من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأخرجه أحمد (٧٠/٣ - ٧١)، وأبو يعلى (٥٢٠/٢ - ٥٢١) رقم (١٣٧٥/٤٠١) من طريق الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٠٠) وزاد نسبه إلى سعيد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان. وفي الباب عن أبي أمامة:

أخرجه أحمد (٢٦٥/٥)، والترمذي (٧٠٥/٤ - ٧٠٦) كتاب صفة جهنم: باب ما جاء في صفة شراب أهل النار حديث (٢٥٨٣)، والطبراني في الكبير (١٠٦/٨) رقم (٧٤٦٠)، كلهم من طريق صفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بسر عن أبي أمامة به. قال الترمذي (٧٠٥/٤ - ٧٠٦): هذا =

- (١) قوله: «والمعنى جاء الحق وزاغت العليل» في الصحاح «زاح الشيء» بعد وذهب. وأزاحت علته فزاحت (ع).
- (٢) قوله: «يطيف بهم» الذي يفيد الصحاح: طاف يطوف حول الشيء: دار حوله، وطاف يطيف بالشيء: جاءه وألم به، فتدبر.
- (٣) تقدم.

﴿مُرْتَفَقًا﴾: متكأ من المرفق؛ وهذا لمشاكلة قوله: (وحسنت مرتفقا)، وإلا فلا ارتفاع لأهل النار ولا اتكاء، إلا أن يكون من قوله [من البسيط]:

إِنِّي أَرَقْتُ فَبِثُّ اللَّيْلِ مُرْتَفِقًا كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ<sup>(١)</sup>

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٥﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يَمْشُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَبَّحُوا الثَّوَابَ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿أُولَئِكَ﴾: خير إن، و ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾: اعتراض، ولك أن تجعل: (إنا لا نضيع)، و (أولئك): خبرين معاً، أو تجعل: (أولئك): كلاماً مستأنفاً بياناً للأجر المبهم.

فإن قلت: إذا جعلت: (إنا لا نضيع): خبراً، فأين الضمير الراجع منه إلى المبتدأ؟ قلت: ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، و ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: ينتظمهما معنى واحد، فقام: (من أحسن): مقام الضمير، أو أردت: من أحسن عملاً منهم، فكان كقولك: السمن منوان بدرهم، من الأولى؛ للابتداء، والثانية: للتبيين، وتنكير: ﴿أَسَاوِرَ﴾؛ لإبهام أمرها في الحسن، وجمع بين السندس: وهو ما رق من الديباج، وبين الاستبرق: وهو

-----  
= حديث غريب، وهكذا قال محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن بسر، ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث. وقد روى صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ غير هذا الحديث، وعبد الله بن بسر له أخ قد سمع من النبي ﷺ وأخته قد سمعت من النبي ﷺ، وعبيد الله بن بسر الذي روى عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث، رجل آخر ليس بصاحب.

قال الحافظ في تخریج الكشاف: أخرجه الترمذي من طريق رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد واستغربه، وقال: لا يعرف إلا من حديث رشدين ابن سعد وتعقب قوله: بأن أحمد وأبا يعلى أخرجاه من طريق ابن لهيعة عن دراج، وبأن ابن حبان والحاكم أخرجاه من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث. انتهى.

(١) لأبي ذؤيب الهذلي. ويروى بدل الشطر الأول: مقام الخلي وبت الليل مشتجراً. والارتفاع: الاتكاء على المرفق مع نصب الساعد. والاشتجار: وضع اليد تحت الشجر وهو ما بين اللحين والاتكاء عليها، وهي هيئة المتحزن المتحسر. والأرق؛ السهر. والصاب: نبت مر كالحنظل. والمذبوح: المشقوق. وهو كناية عن البكاء وانصباب الدموع.

ينظر: شرح أشعار الهذليين ص ١٢٠، ولسان العرب (صوب)، (شجر)، (حرف)، والتشبيه والإيضاح ١٠٦/١، وتاج العروس (شجر)، ومجمل اللغة ٢٥٤/٣، وتهذيب اللغة ٤٧١/٤، ٤٧٤، وأسماں البلاغة (ذبح)، وللهمذلي في تاج العروس (صوب)، وبلا نسبة في لسان العرب (ذبح)، ومقاييس اللغة ٢٤٧/٣، ٣٢٧، وديوان الأدب ٤٠٢/٢، وتاج العروس (ذبح).

الغليظ منه، جمعاً بين النوعين، وخص الاتكاء؛ لأنه هيئة المنعمين والملوك على أسرتهـم .

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْتَنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٢٣﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكْهُمَا وَلَمْ يُطْعِمَا مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٢٤﴾ وَكَانَ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَكَأَلُوا لِصَنِيعِهِمْ وَهُوَ يُخَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْسًا ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾ أي: ومثل حال الكافرين والمؤمنين، بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل: أحدهما كافر اسمه: قطروس، والآخر مؤمن اسمه: يهوذا، وقيل: هما المذكوران في سورة «الصفافات»، في قوله: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾، ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار، فتشاطراها، فاشتري الكافر أرضاً بألف، فقال المؤمن: اللهم، إن أخي اشترى أرضاً بألف دينار، وأنا اشتري منك أرضاً في الجنة بألف، فتصدق به، ثم بنى أخوه داراً بألف، فقال: اللهم، إنني اشتري منك داراً في الجنة بألف، فتصدق به، ثم تزوج أخوه امرأة بألف، فقال: اللهم، إنني جعلت ألفاً صدقاً للحوار، ثم اشترى أخوه خدماً ومتاعاً بألف، فقال: اللهم، إنني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف، فتصدق به، ثم أصابته حاجة، فجلس لأخيه على طريقه، فمر به في حشمة، فتعرض له، فطرده ووبخه على التصدق بماله، وقيل: هما مثل لأخوين من بني مخزوم: مؤمن وهو: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأشد، وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله ﷺ وكافر وهو: الأسود بن عبد الأشد، ﴿ جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ ﴾: بستانين من كروم، ﴿ وَحَفَفْتَنَاهُمَا بِنَخْلٍ ﴾: وجعلنا النخل محيطاً بالجننتين، وهذا مما يؤثره الدهاقين<sup>(١)</sup> في كرومهم: أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة، يقال: حفوه: إذا أطافوا به، وحففته بهم، أي: جعلتهم حافين حوله، وهو متعد إلى مفعول واحد، فتزيده الباء مفعولاً ثانياً؛ كقولك: غشيه، وغشيته به، ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾: جعلناها أرضاً جامعة للأقوات والفواكه، ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها، مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق، ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص، ثم بما وهو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به، وهو السيج بالنهر الجاري فيها، والأكل: الثمر، وقرئ بضم الكاف، ﴿ وَكَلَّمَ تَطْلِيحًا ﴾: ولم تنقص، وآتت: حمل على اللفظ؛ لأن (كلتا) لفظه لفظ مفرد، ولو قيل: آتتا على المعنى، لجاز. وقرئ: وفجرتنا، على التحفيف. وقرأ عبد الله: كل الجنتين آتى أكله برد الضمير على كل، ﴿ وَكَانَ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ أي:

(١) قوله: «الدهاقين» أحده دهمان (ع).

أنواع من المال، من ثمر ماله<sup>(١)</sup> إذا كثر، وعن مجاهد: الذهب والفضة، أي: كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الدثرة<sup>(٢)</sup> من الذهب والفضة وغيرهما، وكان وافر اليسار من كل وجه، متمكناً من عمارة الأرض كيف شاء، ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يعني: أنصاراً وحشماً، وقيل: أولاداً ذكوراً؛ لأنهم ينفرون معه دون الإناث، يحاوره: يراجعه الكلام، من حار يحور إذا رجع، وسألته فما أحرار كلمة.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

يعني: قطروس أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه.

فإن قلت: فلم أفرد الجنة بعد الثنية؟

قلت / ٢١٠ ب: معناه: ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها، يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون، فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير، ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه، معرض بذلك نفسه لسخط الله، وهو أفحش الظلم، إخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته؛ لطول أمله واستيلاء الحرص عليه، وتمادي غفلته، واغتراره بالمهلة، وإطراحه النظر في عواقب أمثاله، وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم، فإن السنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه، ﴿وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾: إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير، وكما يزعم صاحبه، ليجد في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا؛ تطمعاً وتمنياً على الله، وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده، وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئثاله، وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه؛ كقوله: ﴿إِنَّ لِي عِنْدَ اللَّهِ حَسْبًا﴾ [فصلت: ٥٠]، ﴿لَأُؤْتِيَكَ مَا لَمْ يُوَلِّدَا﴾، وقرئ: «خيراً منهما»؛ رداً على الجنتين، ﴿مُنْقَلَبًا﴾: مرجعاً وعاقبة، وانتصابه على التمييز، أي: منقلب تلك، خير من منقلب هذه؛ لأنها فانية وتلك باقية.

(١) قوله: «من ثمر ماله» الذي في الصحاح: أن الثمر جمع ثمار، ككتب وكتاب. وأن الثمر أيضاً: المال المشمر، ويخفف ويثقل. وأثمر الرجل: إذا كثر ماله، وثمر الله ماله، أي: كثره. وعبارة الخازن: وكان له ثمر. قرئ بالفتح جمع ثمرة، وقرئ بالضم وهو الأموال الكثيرة المشمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما. وفي النسفي: له ثمر، وأحبط بثمره بفتح الميم والثاء، وبضم الثاء وسكون الميم، وبضمهما (ع).

(٢) قوله: «الأموال الدثرة» الكثيرة. أفاده الصحاح (ع).

﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ

رَجُلًا ﴿٣٧﴾

﴿ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ﴾ أي: خلق أصلك، لأن خلق أصله سبب في خلقه، فكان خلقه خلقاً له، ﴿ سَوَّكَ ﴾: عدلك وملكك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال، جعله كافراً بالله جاحداً لأنعمه؛ لشكك في البعث، كما يكون المكذب بالرسول ﷺ كافراً

﴿ لَنُكَفَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾

﴿ لَنُكَفَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ أصله: لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن، فتلاقت النونان فكان الإدغام؛ ونحوه قول القائل [من الطويل]:

وَتَرْمِيَنِّي بِالطَّرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَقْلِيَنِّي لَكِنْ إِيَّاكَ لَا أَقْلِي (١)

أي: لكن أنا لا أقلبك وهو ضمير الشأن، والشأن الله ربي، والجملة خبر أنا، والراجع منها إليه: ياء الضمير، وقرأ ابن عامر بإثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعاً، وحسن ذلك وقوع الألف عوضاً من حذف الهمزة، وغيره لا يشبها إلا في الوقف، وعن أبي عمرو أنه وقف بالهاء: لكن، وقرئ: «لكن هو الله ربي»: بسكون النون وطرح أنا، وقرأ أبي بن كعب: «لكن أنا»: على الأصل، وفي قراءة عبد الله: لكن أنا لا إله إلا هو ربي.

فإن قلت: هو استدراك لماذا؟

قلت: لقوله: (أكفرت) قال لأخيه: أنت كافر بالله؛ لكني مؤمن موحد، كما تقول: زيد غائب، لكن عمراً حاضر.

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا

(١) يقول: وترمينني يا محبوبية بطرفك، أي: تشيرين إلي به. فالرمي: استعارة مصرحة، لأنه شبه إطلاق البصر بإطلاق الحجر. ويجوز أن الباء للآلة، فالرمي محذوف فسرته بقوله: أي أنت مذنب، فأى تفسيرية، يعني أن ما رمته به هو ادعاؤها أنه مذنب. وقلاه يقليه، وقلية يقلاه. وقد يقال: قلاه يقلاه بمعنى بغضه أشد البغض، ولكن أصله: ولكن أنا، فنقلت حركة الهمزة إلى النون ثم حذفت، ثم أدغمت النون في النون بعدها، وحذفت الألف الأخيرة في الرسم كاللفظ. ولو أجري الوصل مجرى الوقف لثبتت، وقدم المفعول وهو «إياك» للاهتمام ببراءتها من قلاء وتخصيصها بذلك دون غيرها من النساء.

ينظر: تذكرة النحاة ص ٢٣، والجنى الداني ص ٢٣٣، وجواهر الأدب ص ٢١٨، ٤١١، وخزانة الأدب ١١/٢٥٥، ٢٩٩، والدرر ٤/٣١، ٥/١٢١، وشرح شواهد المغني ١/٢٣٤، ٢/٨٢٨، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/١٤١، ومعني اللبيب ١/٧٦، ومع الهوامع ١/٢٤٨، ٢/٧١.

وَوَلَدًا ﴿٢٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٣٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غَورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهَا طَلِبًا ﴿٣١﴾ ﴿

﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: يجوز أن تكون (ما): موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره: الأمر ما شاء الله، أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف، بمعنى: أي شيء شاء الله كان، ونظيرها في حذف الجواب (لو) في قوله: ﴿وَلَوْ أَن قُرْءَانًا سُرِيتَ بِهِ الْجِبَلُ﴾، والمعنى: هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر: ما شاء الله؛ اعترافاً بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله، وأن أمرها بيده: إن شاء تركها عامرة، وإن شاء خربها، وقلت: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾؛ إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته وتأييده، إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى، وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم حائطه أيام الرطب، فيدخل من شاء، وكان إذا دخله ردّد هذه الآية حتى يخرج، من قرأ (أقل): بالنصب، فقد جعل أنا فضلاً، ومن رفع جعله مبتدأ وأقله خبره، والجملة مفعولاً ثانياً لترني. وفي قوله: ﴿وَوَلَدًا﴾؛ نصرة لمن فسر النفر بالأولاد في قوله: (وأعز نفراً)، والمعنى: إن ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى، فيرزقني لإيماني جنة، ﴿خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾: ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك، والحسبان: مصدر كالغفران والبطلان، بمعنى: الحساب، أي: مقداراً قدره الله وحسبه، وهو الحكم بتخريبها، وقال الزجاج: عذاب حسبان؛ وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك، وقيل: حسباناً مرامى الواحدة حسبانة وهي الصواعق، ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾: أرضاً بيضاء، يزلق عليها لملامستها زلقاً، و﴿غَورًا﴾: كلاهما وصف بالمصدر.

﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ، فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِرَبِّ شَرِّكَ بَرِّقٍ أَحَدًا ﴿٤٣﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَأُحِيطَ﴾: به عبارة عن إهلاكه، وأصله: من أحاط به العدو؛ لأنه إذا أحاط به، فقد ملكه واستولى عليه، ثم استعمل في كل إهلاك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]؛ ومثله قولهم: أتى عليه، إذا أهلكه، من أتى عليهم العدو: إذا جاءهم مستعلاً عليهم، وتقليب الكفين: كناية عن الندم والتحسر؛ لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن، كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد، ولأنه في معنى الندم عدي تعديته بعلى، كأنه قيل: فأصبح يندم ﴿عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي: أنفق في عمارتها، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يعني: أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض، وسقطت فوقها الكروم، قيل: أرسل الله

عليها ناراً فأكلتها، ﴿يَلْتَنِي﴾: تذكر موعظة أخيه، فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه، فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه، ويجوز أن يكون توبة من الشرك، وندماً على ما كان منه، ودخولاً في الإيمان، وقرئ: (ولم يكن): بالياء والتاء، وحمل (ينصرونه): على المعنى دون/ ٢١١ ب اللفظ؛ كقوله: ﴿وَعَقَّةٌ تُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٣].

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿يَصْرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؟

قلت: معناه: يقدرون على نصرته من دون الله، أي: هو وحده القادر على نصرته، لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل، ﴿وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾: وما كان ممتنعاً بقوته عن انتقام الله.

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾

﴿الْوَلَايَةُ﴾: بالفتح: النصره والتولي، وبالكسر: السلطان والملك، وقد قرئ بهما. والمعنى هنالك، أي: في ذلك المقام وتلك الحال النصره لله وحده، لا يملكها غيره، ولا يستطيعها أحد سواه؛ تقريراً لقوله: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَصْرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الكهف: ٤٣]، أو: هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه، أو: في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر، يعني: أن قوله: ﴿يَلْتَنِي لَوْ أَشْرَكَ بِرَبِّهِ أَحَدًا﴾: كلمة أجيء إليها فقالها جزعاً مما دهاه من شؤم كفره، ولولا ذلك لم يقلها، ويجوز أن يكون المعنى: هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة ويتقم لهم، ويشفي صدورهم من أعدائهم، يعني: أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن، وصدق قوله: ﴿فَمَسَى رِجْلَ أَنْ يُؤَيِّنَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَرُسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾، ويعضده قوله: ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: لأوليائه، وقيل: (هنالك): إشارة إلى الآخرة، أي: في تلك الدار الولاية لله؛ كقوله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، وقرئ: (الحق): بالرفع والجر صفة للولاية والله<sup>(١)</sup>، وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد؛ كقولك: هذا عبد الله الحق لا الباطل، وهي قراءة حسنة فصيحة، وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم، وقرئ: (عقبا): بضم القاف

(١) قال محمود: «قرئ بالرفع والجر صفة للولاية والله تعالى... الخ» قال أحمد: وقد تقدم الإنكار عليه في مثل هذا القول فإنه يوهم أن القراءات موكولة إلى رأي الفصحاء واجتهاد البلغاء، فتفاوتت في الفصاحة لتفاوتهم فيها، وهذا منكر شنيع. والحق: أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه فوعاه متصلاً بفلق إليه ﷻ منزلاً كذلك من السماء، فلا وقع لفصاحة الفصيح، وإنما هو ناقل كغيره، ولكن الزمخشري لا يفوته الثناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة، فإن عمرو بن عبيد أول مصمم على إنكار القدر وهلم جرا إلى سائر البدع الاعتزالية، فمن ثم أتى عليه.

وسكونها، وعقبي على فعلى، وكلها بمعنى: العاقبة.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾: فالتفت بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضاً، وقيل: نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف<sup>(١)</sup> رفيفاً؛ وكان حق اللفظ على هذا التفسير: فاختلط بنبات الأرض، ووجه صحته: أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه، والهشيم: ما تهشم وتحطم، الواحدة هشيمة، وقرئ: «تذروه الريح»، وعن ابن عباس: «تذرية الرياح»: من أذرى: شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء؛ بحال النبات يكون أخضر وارفاً<sup>(٢)</sup>، ثم يهيج، فتطيره الرياح كأن لم يكن، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾: من الإنشاء والإفناء: ﴿مُقْتَدِرًا﴾.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان، وتفنى عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا، وقيل: هي الصلوات الخمس، وقيل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وعن قتادة: كل ما أريد به وجه الله، ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ أي: ما يتعلق بها من الثواب، وما يتعلق بها من الأمل؛ لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله، ويصيبه في الآخرة.

﴿وَيَوْمَ نُسِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾

قرئ: «تسير»: من سيرت، «ونسير»، من سيرنا، «وتسير»: من سارت، أي: تسير في الجو، أو يذهب بها، بأن تجعل هباءً منبثاً، وقرئ: «وترى الأرض»: على البناء للمفعول، ﴿بَارِزَةً﴾: ليس عليها ما يسترها مما كان عليها، ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾: وجمعناهم إلى الموقف، وقرئ: «فلم نغادر»: بالنون والياء، يقال: غادره وأغدره: إذا تركه، ومنه

(١) قوله: «ورف رفيفاً» في الصحاح: رف لونه رفا ورفيفاً: برق وتلألأ. وشجر رفيف: إذا تندت أوراقه (ع).

(٢) قوله: «بحال النبات يكون أخضر وارفاً» في الصحاح: ورف النبات، أي: اهتز من نضارته، فهو وارف، أي: ناضر رفاف شديد الخضرة (ع).

الغدرة: ترك الوفاء، والغدير: ما غادره السيل، وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان، ﴿صَفَا﴾: مصطفين ظاهرين، يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحداً، ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ أي: قلنا لهم: لقد جئتمونا، وهذا المضمرة هو عامل النصب في يوم نسير، ويجوز أن ينصب بإضمار اذكر، والمعنى: لقد بعثناكم كما أنشأناكم، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وقيل: جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أولاً؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ [الأنعام: ٩٤]. فإن قلت: لم جيء بحشرناهم ماضياً بعد نسير وترى؟

قلت: للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز؛ ليعاينوا تلك الأهوال العظائم، كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك، ﴿مَوْعِدًا﴾: وقتاً لإنجاز ما وعدتم على السنة الأنبياء من البعث والنشور.

﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩)

﴿الْكِتَابَ﴾: للجنس وهو صحف الأعمال، ﴿يَوْتِلِنَا﴾: ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات، ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾: هنة صغيرة ولا كبيرة، وهي عبارة عن الإحاطة، يعني: لا يترك شيئاً من المعاصي إلا أحصاه، أي: أحصاها كلها، كما تقول: ما أعطاني قليلاً ولا كثيراً؛ لأن الأشياء إما صغار وإما كبار، ويجوز أن يريد: وإما كان عندهم صغائر وكبائر، وقيل: لم يجتنبوا الكبائر، فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة، وعن ابن عباس: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: القهقهة، وعن سعيد بن جبير: الصغيرة: المسيس، والكبيرة: الزنا، وعن الفضيل: كان إذا قرأها قال: ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر، ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾: إلا ضبطها وحصرها، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾: في الصحف: «عتيداً»، أو جزاء ما عملوا، ﴿وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾: فيكتب عليه ما لم يعمل، أو يزيد في عقاب المستحق، أو يعذبه بغير جرم، كما يزعم من ظلم الله<sup>(١)</sup> في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾  
 ﴿أَفَسَجَدُوا لَهُ دَرَيْتَهُ أُولِيَكَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مَخَذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ ﴿٥١﴾

(١) قوله: «كما يزعم من ظلم الله» لعله بالتشديد، أي: نسب إليه الظلم (ع).

﴿كَأُولَئِكَ﴾ / ٢١١ب: كلام مستأنف<sup>(١)</sup>، جار مجرى التقليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأن قائلاً قال: ما له لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن، ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾: والفاء للتسبيب - أيضاً - جعل كونه من الجن سبباً في فسقه؛ لأنه لو كان ملكاً كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله؛ لأن الملائكة معصومون البتة، لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس؛ كما قال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ رَبِّهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، وهذا الكلام المعترض تعمد من الله - تعالى - لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم، فما أبعد البون بين ما تعمده الله، وبين قول من ضاده وزعم أنه كان ملكاً ورئيساً على الملائكة، فعصى، فلعن ومسح شيطاناً، ثم ورّكه<sup>(٢)</sup> على ابن عباس، ومعنى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾: خرج عما أمره به ربه من السجود؛ قال [من الرجز]:

فَوَاقِبًا عَن قَضَدِهَا جَوَائِرًا<sup>(٣)</sup>

أو صار فاسقاً كافراً بسبب أمر ربه الذي هو قوله: ﴿اسْجُدُوا لِأَدَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿أَفَتَعْتَدُونَ﴾: الهمزة: للإنكار، والتعجب، كأنه قيل: أعقيب ما وجد منه تتخذونه، ﴿وَدَرَيْتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ﴾: وتستبدلونهم بي، بثس البديل من الله إبليس لمن استبدله، فأطاعه بدل طاعته، ﴿ما أشهدتهم﴾، وقرئ: «ما أشهدناهم»، يعني: أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة؛ وإنما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية، فنفي مشاركتهم في الإلهية بقوله: ﴿مَا أَشْهَدْتُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لأعتضد بهم في خلقها<sup>(٤)</sup>، ﴿وَلَا خَلَقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: ولا أشهدت بعضهم خلق بعض؛ كقوله: ﴿وَلَا نَقْتُلُوهَا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تُخَدِّعُ الْمُضِلِّينَ﴾ بمعنى: وما كنت متخذهم، ﴿عَضُدًا﴾ أي: أعواناً، فوضع المضلين موضع الضمير ذمّاً لهم بالإضلال، فإذا لم يكونوا عضداً لي في الخلق، فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة؟ وقرئ: «وما كنت»: بالفتح: الخطاب لرسول الله ﷺ والمعنى: وما صح لك الاعتضاد بهم، وما ينبغي لك أن تعتز بهم، وقرأ علي - رضي الله عنه -: وما كنت متخذاً المضلين، بالتنوين على الأصل، وقرأ الحسن: «عضداً»: بسكون الضاد، ونقل ضميتها إلى العين، وقرئ: «عضداً»: بالفتح وسكون

(١) قال محمود: «قوله تعالى كان من الجن مستأنف تعليل لسوقه... إلخ» قال أحمد: والحق معه في هذا الفصل غير أن قوله: «تعمد الله تعالى» لفظة لا تروق ولا تليق، فإن التعمد إنما يوصف به عرفاً من يفعل في بعض الأحيان خطأ وفي بعضها تعمداً، فاجتنابها في حق الله تعالى واجب، والله الموفق.

(٢) قوله: «ثم ورّكه» أي اتهمه به (ع).

(٣) تقدم.

(٤) قوله: «لأعتضد بهم في خلقها» أي لأستعين بهم (ع).

الضاد، «وعضداً»: بضمّتين، «وعضداً»: بفتحتين: جمع عاضد، كخادم وخدم، وراصداً ورسد، من عضده: إذا قواه وأعانه.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾  
وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿يَقُولُ﴾: بالياء والنون، وإضافة الشركاء إليه على زعمهم؛ توبيخاً لهم وأراد الجن، والموبق: المهلك، من وبق يبق وبوقاً، ووبق يوبق وبقاً: إذا هلك، وأوبقه غيره، ويجوز أن يكون مصدرًا كال مورد والموعد، يعني: وجعلنا بينهم وادياً من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركاً يهلكون فيه جميعاً، وعن الحسن: (موبقاً): عداوة، والمعنى: عداوة هي في شدتها هلاك؛ كقوله: لا يكن جبك كلفاً، ولا بغضك تلفاً، وقال الفراء: البين: الوصل، أي: وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة، ويجوز أن يريد: الملائكة، وعزيراً، وعيسى، ومريم، وبالموبق: البرزخ البعيد، أي: وجعلنا بينهم أمداً بعيداً تهلك فيه الأشواط لفرط بعده؛ لأنهم في قعر جهنم، وهم في أعلى الجنان، ﴿فَظَنُّوا﴾: فأيقنوا، ﴿مُوَاقِعُوهَا﴾: مخالطوها واقعون فيها، ﴿مَصْرِفًا﴾: معدلاً؛ قال [من الكامل]:

أَزْهَيْرَ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفٍ .....

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾  
﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحداً بعد واحد؛ خصومة ومماراة بالباطل، وانتصاب: (جدلاً) على التمييز، يعني: أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء، ونحوه: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾

(١) أزهير هل عن شيبه من مصرف أم لا خلود لبازل متكلف  
لأبي كبير الهذلي. والهمزة للنداء. وزهير ترخيم زهيرة اسم امرأة. والاستفهام إنكاري، أي: لا انصراف عن الشيب أو لا مهرّب ولا مفر منه. وأم للإضراب الانتقالي والاستفهام الإنكاري، أي: بل لا ينتفي خلود الكريم البازل لما عنده المتكلف غير طاقته في قرى الضيفان؛ لأن البذل لا يمنع الخلود كأنها كانت لامته على البذل مع الشيب والعقر، فأجابها بذلك. وفيه دلالة على غاية الكرم. ينظر: شرح أشعار الهذليين ص (١٠٨٩)، ولسان العرب (٤٤/٩)، (صرف)، (٣٠٧/٩)، (كلف)، وتاج العروس (٢٣١/١٥) (عزز)، (١٣٢/٢٣) (حرف).

﴿أَنْ﴾: الأولى: نصب، والثانية: رفع، وقبلها مضاف محذوف تقديره: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾: الإيمان والاستغفار، ﴿إِلَّا﴾: انتظار، ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾: وهي الإهلاك، ﴿أَوْ﴾: انتظار أن ﴿يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾ يعني: عذاب الآخرة، ﴿قُبَلًا﴾: عياناً، وقرئ: (قبلا): أنواعاً<sup>(١)</sup>: جمع قبيل، و (قبلا): بفتحين: مستقبلاً.

﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجْعَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿لِيُدْحِضُوا﴾: ليزيلوا ويبطلوا، من إحاض القدم، وهو إزالتها وإزالتها عن موطنها، ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾: يجوز أن تكون (ما): موصولة، ويكون الراجع من الصلة محذوفاً، أي: وما أُنذِرُهُم من العذاب، أو مصدرية بمعنى: وإنذارهم، وقرئ: «هزأ»: بالسكون، أي: اتخذوها موضع استهزاء، وجدالهم: قولهم للرسول، ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [المؤمنون: ٢٤]، وما أشبه ذلك.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾: بالقرآن؛ ولذلك رجع إليها الضمير مذكراً في قوله: ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر، ﴿وَنَسِيَ﴾: عاقبة، ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ﴾: من الكفر والمعاصي، غير مفكر فيها ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء، ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم، وجمع بعد الأفراد حملاً على لفظ من، ومعناه: ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا﴾: فلا يكون منهم اهتداء البتة، كأنه محال منهم لشدة تصميمهم، ﴿أَبَدًا﴾: مدة التكليف كلها، و ﴿إِذَا﴾: جزاء وجواب، فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول، بمعنى: أنهم/ ٢١٢ أ جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سبباً في انتفائه، وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله: ما لي لا أدعوهم حرصاً على إسلامهم؟ فقيل: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا﴾.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجْعَدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾﴾

(١) قوله: «قبلا عياناً». وقرئ قبلاً أنواعاً هذه القراءة بكسر ففتح. والثانية بضمين، كما يفيد الصراح (ع).

﴿الْفُؤُورُ﴾: البليغ المغفرة، ﴿ذُو الرِّحْمَةِ﴾: الموصوف بالرحمة، ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذه أهل مكة عاجلاً من غير إهمال، مع إفراطهم في عداوة رسول الله ﷺ ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾: وهو يوم بدر، ﴿أَنْ يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾: منجى ولا ملجأ، يقال: «وأل» إذا نجا، و«وأل إليه»: إذا لجأ إليه.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْتَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ يريد: قرى الأولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم: أشار لهم إليها ليعتبروا، (تلك): مبتدأ، و (القرى): صفة؛ لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس، و ﴿أَهْلَكْتَهُمْ﴾: خبر، ويجوز أن يكون: (تلك القرى): نصباً بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير، والمعنى: وتلك أصحاب القرى أهلكناهم، ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾: مثل ظلم أهل مكة، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾: وضرينا لإهلاكهم وقتاً معلوماً لا يتأخرون عنه كما ضرينا لأهل مكة يوم بدر، والمهلك: الإهلاك ووقته، وقرئ: (لمهلكهم): بفتح الميم، واللام مفتوحة أو مكسورة، أي: لهلاكهم أو وقت هلاكهم، والموعود: وقت، أو مصدر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾  
 فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ  
 ءَإِنَّا عَبْدَانَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ  
 الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا  
 نَبِيعُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءِاتَيْنَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا  
 وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿لِفَتْنِهِ﴾: لعبده، وفي الحديث: ليقبل أحدكم: فتاي وفتاتي، ولا يقل: عبدي وأمتي (٨٩٨)، وقيل: هو يوشع ابن نون؛ وإنما قيل: فتاه؛ لأنه كان يخدمه ويتبعه،

٨٩٨ - أخرجه البخاري (٤٨٥/٥): كتاب العتق: باب كراهية التطاول على الرقيق، وقوله: عبدي أو أمتي، حديث (٢٥٥٢)، ومسلم (٩/٨ - النووي) كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، حديث (٢٢٤٩) وأبو داود (٢٩٤/٤): كتاب الأدب: باب لا يقول المملوك «ربي» و«ربي»، حديث (٤٩٧٥)، والنسائي في «سننه الكبرى»: (٦٩/٦): كتاب عمل اليوم والليلة: باب النهي عن أن يقول الرجل لجارته أمتي ولغلامه عبدي، حديث (١٠٠٧٠)، وباب النهي عن أن يقول المملوك لمالكه: مولاي حديث (١٠٠٧١ - ١٠٠٧٢) كلهم من طرق مختلفة عن أبي هريرة: .  
 وقال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه به وأنتم منه. انتهى.

وقيل: كان يأخذ منه العلم.

فإن قلت: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ إن كان بمعنى: لا أزل - من برح المكان - فقد دل على الإقامة لا على السفر، وإن كان بمعنى: لا أزال، فلا بد من الخبر.

قلت: هو بمعنى: لا أزال، وقد حذف الخبر؛ لأن الحال والكلام معاً يدلان عليه، أما الحال فلأنها كانت حال سفر، وأما الكلام فلأن قوله: ﴿حَقَّقَ أَبْلَغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ غاية مضرورية تستدعي ما هي غاية له، فلا بد أن يكون المعنى: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى: لا يبرح مسيري حتى أبلغ، على أن حتى أبلغ هو الخبر، فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم، فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم، وهو وجه لطيف، ويجوز أن يكون المعنى: لا أبرح ما أنا عليه، بمعنى: ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ، كما تقول: لا أبرح المكان، ومجمع البحرين: المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر - عليهما السلام - وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق، وقيل: طنجة، وقيل: أفريقية، ومن بدع التفاسير: أن البحرين موسى والخضر؛ لأنهما كانا بحرين في العلم، وقرئ (مجمع): بكسر الميم، وهي في الشذوذ من يفعل، كالمشرق والمطلع من يفعل، ﴿أَوْ أَمْضَى حُقُبًا﴾: أو أسير زماناً طويلاً، والحقب ثمانون سنة، وروي أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط، أمره الله أن يذكر قومه النعمة، فقام فيهم خطيباً فذكر نعمة الله وقال: إنه اصطفى نبيكم وكلمه، فقالوا له: قد علمنا هذا، فأبي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه حين لم يرذ العلم إلى الله، فأوحى إليه: بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر، وكان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى - عليه السلام - وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر، وبقي إلى أيام موسى، وقيل: إن موسى سأل ربه: أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني، قال: فأبي عبادك أفضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال: فأبي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه، عسى أن يصيب كلمة تدل على هدى، أو ترده عن ردى، فقال: إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه، قال: أعلم منك الخضر، قال: أين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة، قال: يا رب، كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مکتل، فحيث فقدته فهو هناك، فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني، فذهب يمشيان، فرقد موسى، فاضطرب الحوت ووقع في البحر، فلما جاء وقت الغذاء طلب موسى الحوت، فأخبره فتاه بوقوعه في البحر، فأتيا الصخرة، فإذا رجل مسجى بشوبه، فسلم عليه موسى، فقال: وأنى بأرضنا السلام، فعزفه نفسه، فقال: يا موسى، أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا، فلما ركب السفينة

جاء عصفور فوق على حرفها فنقر في الماء، فقال الخضر: ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر، ﴿نَسِيًا حُوتَهُمَا﴾ أي: نسياً تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمانة على الظفر بالطلبية، وقيل: نسي يوشع أن يقدمه، ونسى موسى أن يأمره فيه بشيء، وقيل: كان الحوت سمكة مملوحة، وقيل: إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل، فنزلاً ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة، ونام موسى، فلما أصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت، وروي: أنهما أكلتا منها، وقيل: توشع يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش، ووقع في الماء ﴿سَرِيًّا﴾: أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه/ ٢١٢ب مثل الطاق، وحصل منه في مثل السرب<sup>(١)</sup> معجزة لموسى أو للخضر، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: الموعد، وهو: الصخرة؛ لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه، ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى في حياته ووقوعه في البحر، وقيل: سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلية والغد إلى الظهر، وألقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد، ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك، فتذكر الحوت وطلبه؛ وقوله: ﴿مِنْ سَفَرِنَا هَذَا﴾: إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة.

فإن قلت: كيف نسي يوشع ذلك، ومثله لا ينسى<sup>(٢)</sup>؛ لكونه أمانة لهما على الطلبية التي تناهضاً من أجلها، ولكونه معجزتين ثنتين، وهما: حياة السمكة المملوحة المأكول منها - وقيل: ما كانت إلا شق سمكة - وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه، ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد، وحتى طلب موسى - عليه السلام - الحوت؟

قلت: قد شغله الشيطان بوساوسه، فذهب بفكره كل مذهب، حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضرى بمشاهدة أمثاله عند موسى - عليه السلام - من العجائب،

(١) قوله: «في مثل السرب» في الصحاح «السرب» بيت في الأرض. تقول منه. انسرب الوحش في سربه. وانسرب الثعلب في جحره (ع).

(٢) قال محمود: «إن قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى... إلخ؟ قال أحمد: وقد ورد في الحديث: أن موسى عليه السلام لم ينصب ولم يقل لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً، إلا منذ جاوز الموضع الذي حده الله تعالى له، فلعل الحكمة في إنساء الله تعالى ليوشع أن يتيقظ موسى عليه السلام لمنة الله تعالى على المسافر في طاعة وطلب علم، بالتيسير عليه وحمل الأعباء عنه، وتلك سنة الله الجارية في حق من صحت له نية في عبادة من العبادات: أن يبسرهما ويحمل عنه مؤنتها، ويتكفل به ما دام على تلك الحالة، وموقع الإيقاظ أنه وجد بين حالة سفره للموعد وحالة مجاوزته بونا بيناً، والله أعلم. وإن كان موسى عليه السلام متيقظاً لذلك، فالمطلوب بإيقاظ غيره من أمته، بل من أمة محمد عليه الصلاة والسلام إذا قص عليهم القصة، فما أورد الله تعالى قصص أنبيائه ليسمر بها الناس، ولكن ليشمر الخلق لتدبرها واقتباس أنوارها ومنافعها عاجلاً وآجلاً، والله أعلم.

واستأنس بإخوانه فأعان الإلف<sup>(١)</sup> على قلة الاهتمام، ﴿أَرَأَيْتَ﴾ بمعنى: أخبرني.

فإن قلت: ما وجه التثام هذا الكلام؟ فإن كل واحد من: (أرأيت)، و ﴿إِذْ أَوْتَيْنَا﴾، و ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ﴾: لا متعلق له؟

قلت: لما طلب موسى - عليه السلام - الحوت، ذكر يوشع ما رأى منه، وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية، فدهش وطفق يسأل موسى - عليه السلام - عن سبب ذلك، كأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوتينا إلى الصخرة؟ فإنني نسيت الحوت، فحذف ذلك، وقيل: هي الصخرة التي دون نهر الزيت، و ﴿أَنْ أَذْكُرُ﴾: بدل من الهاء في: (أنسانيه)، أي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان، وفي قراءة عبد الله: «أَنْ أَذْكُرْكَ»، و ﴿عَجَبًا﴾: ثاني مفعولي اتخذ؛ مثل: (سربا)، يعني: واتخذ سبيله سبيلاً عجيباً، وهو كونه شبيه السرب، أو قال: عجباً في آخر كلامه؛ تعجباً من حاله في رؤية تلك العجيبه ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين، وقوله: ﴿وَمَا أَسْنِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرُ﴾: اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، وقيل: إن (عجبا): حكاية لتعجب موسى - عليه السلام - وليس بذلك، ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى اتخذه سبيلاً، أي: ذلك الذي كنا نطلب؛ لأنه أمانة الظفر بالطلبية من لقاء الخضر - عليه السلام - وقرئ ﴿نَبِيًّا﴾: بغير ياء في الوصل، وإثباتها أحسن؛ وهي قراءة أبي عمرو، وأما الوقف، فالأكثر فيه طرح الياء؛ اتباعاً لخط المصحف، ﴿فَأَرْتَدَّا﴾: فرجعا في أدراجهما<sup>(٢)</sup>، ﴿قَصَصًا﴾: يقصان قصصاً، أي: يتبعان آثارهما اتباعاً، أو فارتدا مقتصين، ﴿رَحْمَةً بَيْنَ عَيْنَيْنَا﴾: هي الوحي والنبوة، ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾: مما يختص بنا من العلم، وهو الإخبار عن الغيوب.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (١٦)

﴿رُشْدًا﴾: قرئ بفتحين، وبضمة وسكون، أي: علماً ذا رشد، أرشد به في ديني.

فإن قلت: أما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه - كما قيل - موسى بن ميثا، لا موسى بن عمران؛ لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه في أبواب الدين؟

قلت: لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله؛ وإنما بغض منه أن يأخذه ممن دونه، وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس: إن نوباً ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر

(١) قوله: «فأعان الإلف على قلة الاهتمام» لعل المراد إلف يوشع، لرؤيته العجائب عند موسى (ع).

(٢) قوله: «فرجعا في أدراجهما» الدرج: الطريق، والجمع الأدراج. ومنه قولهم: رجعت أدراجي، أي: رجعت في الطريق الذي جئت منه، كذا في الصحاح (ع).

ليس بصاحب موسى، وأن موسى هو: موسى بن ميثا، فقال: كذب عدو الله (٨٩٩).

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾

نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد<sup>(١)</sup>، كأنها مما لا يصح ولا يستقيم، وعلل ذلك بأنه يتولى أموراً هي في ظاهرها مناكير، والرجل الصالح - فكيف إذا كان نبياً - لا يتمالك أن يشمئز ويتمعض ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار، و ﴿خُبْرًا﴾: تمييز، أي: لم يحط به خبرك بمعنى: لم تخبره، فنصبه نصب المصدر.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿ولا أعصي﴾: في محل نصب، عطف على: (صابراً)، أي: ستجدني صابراً وغير عاص، أولاً في محل؛ عطفاً على ستجدني، رجا موسى - عليه السلام - لحرصه على العلم وازدياده، أن يستطيع معه صبراً بعد إفصاح الخضر عن حقيقة الأمر، فوعده بالصبر معلقاً بمشيئة الله، علماً منه بشدة الأمر وصعوبته، وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق، هذا مع علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافرة إليه واتباعه واقتباسه العلم منه، بري من أن يباشر ما فيه غميرة في الدين، وأنه لا بد لما يستسمح ظاهره من باطن حسن جميل، فكيف إذا لم يعلم.

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَأْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾

٨٩٩ - أخرجه البخاري (٩١/٧): كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، حديث (٣٤٠١)، ومسلم (١٤٨/٨ - النووي) كتاب الفضائل: باب من فضائل الخضر عليه السلام حديث (٢٣٨٠/١٧٠)، والترمذي (٣٠٩/٥) كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الكهف، حديث (٣١٤٩) كلهم من طريق عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوحاً البكالي يزعم أن موسى... الحديث. وأخرجه محمد بن إسحاق في سيرته كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣٠٤/٢).

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن إسحاق في المغازي عن الحسن بن عمارة عن الحاكم عن سعيد بن جبير بهذا - وساق قصته كلها في الصحيحين بغير هذا اللفظ من رواية عمرو بن دينار عن سعيد. انتهى.

(١) قال محمود: «نفي الاستطاعة على وجه التأكيد... إلخ» قال أحمد: ومما يدل على أن موسى عليه السلام إنما حملة على المبادرة بالإنكار والتهاب والحمية للحق: أنه قال حين خرق السفينة: أخرقتها لتفرق أهلها، ولم يقل لتفرقنا، فنسي نفسه واشتغل بغيره، في الحالة التي كل أحد فيها يقول نفسي نفسي، لا يلوي على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق؛ فسيحان من جبل أنبياء وأصفياء على نصح الخلق والشفقة عليهم والراقة بهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قرئ ﴿فَلَا تَسْتَأْذِنِي﴾: بالنون الثقيلة، يعني: فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً - وقد علمت أنه صحيح إلا أنه غبي عليك وجه صحته فحميت<sup>(١)</sup>، وأنكرت في نفسك - ألا تفتاحني بالسؤال ولا تراجعني فيه، حتى أكون أنا الفاتح عليك، وهذا من آداب المتعلم مع العالم، والمتبوع مع التابع.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾  
قَالَ الرَّاقِلُ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿فَانْطَلَقَا﴾: على ساحل البحر يطلبان السفينة، فلما ركبا، قال أهلها: هما من اللصوص، وأمروهما بالخروج، فقال صاحب السفينة: أرى وجوه الأنبياء، وقيل: عرفوا / ٢١٣ | الخضر فحملوهما بغير نول؛ فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء، فجعل موسى يسد الخرق بشيابه ويقول: ﴿أَخَرَقْتُهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا﴾، وقرئ: «لتغرق»، بالتشديد، و«ليغرق أهلها»: من غرق وأهلها مرفوع، ﴿جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾: أتيت شيئاً عظيماً، من أمر الأمر: إذا عظم؛ قال [من الرجز]:

دَاهِيَةٌ دَهِيَاءٌ إِذَا إِمْرًا<sup>(٢)</sup>

﴿قَالَ لَا تُوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تَرْهَقْنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿بِمَا نَسِيتُ﴾: بالذي نسيت، أو بشيء نسيت، أو بنسياني: أراد أنه نسي وصيته ولا مواخظة على الناسي، أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المواخظة بالنسيان، يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار، وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب، مع التوصل إلى الغرض؛ كقول إبراهيم: هذه أختي، وإني سقيم، أو أراد بالنسيان: الترك، أي: لا تواخِذني بما تركت من وصيتك أول مرة، يقال: رهقه إذا غشيه، وأرهقه إياه، أي: ولا تغشني، ﴿عُسْرًا﴾: من أمرى، وهو اتباعه إياه، يعني: ولا تعسر عليّ متابعتك، ويسرها عليّ بالإغضاء وترك المناقشة، وقرئ: «عُسْرًا»: بضمين.

(١) قوله: «فحميت» في الصحاح «حميت عليه» بالكسر. غضبت (ع).

(٢) لقد لقي الأنوام مني نكرا داهية داهية إذا إمرا  
النكر: المنكر. والداهية: الحادثة المكروهة من شدائد الدهر. والدهياء: مبالغة في شدتها. والإد:  
المنكر كل الإنكار. والأمر: الشيء العظيم. يقال: أمر الشيء - بالكسر - عظم، يصف نفسه بشدة  
النكاية للأعداء. ويجوز أن الكلام من قبيل التجريد.  
ينظر: لسان العرب (٣٣/٤) (أمر)، وتاج العروس (٧٥/١٠) (أمر).

﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾﴾

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿فَقَتَلَهُ﴾ قيل: كان قتله قتل عنقه، وقيل: ضرب برأسه الحائط، وعن سعيد بن جبير: أضجعه ثم ذبحه بالسكين.

فإن قلت: لم قيل: ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ بغير فاء؟ و (حتى إذا لقيَا غلاماً فقتله): بالفاء؟

قلت: جعل خرقها جزاء الشرط، وجعل قتله من جملة الشرط معطوفاً عليه، والجزاء: (قال أقتلت).

فإن قلت: فلم خولف بينهما؟

قلت: لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب، وقد تعقب القتل لقاء الغلام، وقرئ: «زاكية»، و «زكية»، وهي الطاهرة من الذنوب، إما لأنها طاهرة عنده؛ لأنه لم يرها قد أذنت، وإما لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث، ﴿بَغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يعني: لم تقتل نفساً فيمتص منها، وعن ابن عباس أن نجدة الحروري كتب إليه: كيف جاز قتله، وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل الولدان؟ فكتب إليه: إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (٩٠٠) ﴿نُكْرًا﴾، وقرئ بضمين، وهو المنكر، وقيل: النكر أقل من الإمر؛ لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة، وقيل: معناه: جئت شيئاً أنكروا من الأول؛ لأن ذلك كان خرقاً يمكن تداركه بالسد، وهذا لا سبيل إلى تداركه.

فإن قلت: ما معنى زيادة: ﴿لَكَ﴾؟

قلت: زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية، والوسم بقلة الصبر عند الكثرة الثانية.

٩٠٠ - أخرجه مسلم (٣/١٤٤٤ - ١٤٤٥) كتاب الجهاد: باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم حديث (١٣٧/١٨١٢) من طريق يزيد بن هرمز قال: كتب نجدة بن عامر إلى ابن عباس يسأله عن العبد والمرأة يحضران المغنم هل يقسم لهما... الحديث.  
قال الحافظ في تخریج الکشاف:

أخرج أبو يعلى نحوه، وقال في آخره: «وكان لك ذلك» وفي رواية له: «فقلت ولكنك لا تعلم» فاجتنبهم وأصله في مسلم بغير هذا السياق. وأوله: كتب نجدة بن عامر إلى ابن عباس يسأله عن قتل الولدان - الحديث، وفيه: «وسألتني عن قتل الولدان، فإن رسول الله ﷺ لم يقتلهم إلا أن يعلم منهم ما علم صاحب موسى من الغلام الذي قتله. انتهى.

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٧٧)

﴿بَعْدَهَا﴾: بعد هذه الكرة أو المسألة، ﴿فَلَا تُصَحِّبْنِي﴾: فلا تقاريني، وإن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك، وقرئ: (فلا تصحبني): فلا تكن صاحبي، وقرئ: (فلا تصحبني) أي: فلا تصحبني إياك ولا تجعلني صاحبك، ﴿مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾: قد أعذرت، وقرئ: «الذني»: بتخفيف النون، و«الذني»: بسكون الدال وكسر النون؛ كقولهم في عضد: عضد، وعن رسول الله ﷺ: «رَجِمَ اللَّهُ أَخِي مُوسَى اسْتَحْيَا فَقَالَ ذَلِكَ (٩٠١)، وَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَخِي مُوسَى، لَوْ لَبِثَ مَعَ صَاحِبِهِ لَأَبْصَرَ أَعْجَبَ الْأَعَاجِبِ<sup>(١)</sup>» (٩٠٢).

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنَّى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَظَمَّ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (٧٧)

﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾: هي أنطاكية، وقيل: الأبله، وهي أبعد أرض الله من السماء، ﴿أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾، وقرئ: «يضيفوهما»، يقال: ضافه إذا كان له ضيفاً، وحقيقته: مال إليه، من ضاف السهم عن الغرض؛ ونظيره: زاره، من الأزورار، وأضافه وضيفه: أنزله وجعله ضيفه، وعن النبي ﷺ: «كَانُوا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِثَامًا»<sup>(٢)</sup> (٩٠٣). وقيل: شر القرى التي لا

٩٠١ - أخرجه ابن مردويه في «تفسيره» كما في تخريج الكشاف (٣٠٥/٢) من طريق داود بن أبي هند عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن مردويه من رواية داود بن أبي هند، عن عبد الله بن عمير، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس فذكر القصة. وفيها: «رحمة الله علينا وعلى موسى استحيا عند ذلك. فقال: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي - الْآيَةَ﴾. انتهى.

٩٠٢ - أخرجه أبو داود (٣٣/٤) كتاب الحروف والقراءات حديث (٣٩٨٤)، والترمذي (٤٦٣/٥) كتاب الدعاء: باب ما جاء أن الداعي يبدأ بنفسه حديث (٣٣٨٥) مختصراً، والنسائي في «التفسير» (٣٣٠)، وابن أبي شيبه (٢١٩/١٠) رقم (٩٢٧٥)، والطبري في «تفسيره» (١٨٦/١٥)، والحاكم (٥٧٤/٢) من طريق أبي إسحاق عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن أبي بن كعب به، وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤٣٠/٤)، وزاد نسبه لابن مردويه.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان ومن رواية حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن أبي. في أثناء حديث وأصله من مسلم. انتهى.

٩٠٣ - ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣٠٧/٢)، وعزاه للنسائي، وتقدم في صحيح مسلم: فانطلقا حتى إذا أنيا أهل قرية لثاماً فطافا في المجلس.

يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه، ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُصَ﴾: استعيرت الإرادة للمدانة والمشاركة، كما استعير الهمم والعزم لذلك؛ قال الراعي [من الكامل]:

فِي مَهْمِهِ قَلِقْتُ بِهِ هَامَاتَهَا قَلِقَ الْفُؤُوسِ إِذَا أَرَدَنْتَ نُصُولاً<sup>(١)</sup>  
وقال [من الوافر]:

يُرِيدُ الرَّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَغْدِلُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ<sup>(٢)</sup>  
وقال حسان [من الخفيف]:

إِنْ دَهْرًا يَلِفُ شَمْلِي بِجُمْلٍ لَزَمَانَ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ<sup>(٣)</sup>  
وسمعت من يقول: عزم السراج أن يطفأ، وطلب أن يطفأ، وإذا كان القول، والنطق، والشكاية، والصدق، والكذب، والسكوت، والتمرد، والإباء، والعزة، والطواعية، وغير ذلك، مستعارة للجماد ولما لا يعقل، فما بال الإرادة؟ قال [من الرجز]:

إِذْ قَالَتِ الْأَنْسَاعُ لِلْبَطْنِ الْحَقِي<sup>(٤)</sup>

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه النسائي من رواية إسرائيل عن ابن إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَأَبَاوَا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا﴾ قال: «كانوا أهل قرية لثاماً وهو في مسلم بلفظ: «فانطلقا حتى أتيا أهل قرية لثاماً». انتهى.

(١) للراعي يصف الإبل بأنها في مهمه: أي مفازة، قلت: أي تحركت فيه هاماتها: أي رؤوسها. قلق الفؤوس: أي كتحرك الفؤوس جمع فأس وهي آلة الحفر، إذا أردن: أي الفؤوس، نصولاً: أي قرن منه، فالأرد مجاز مرسل، ونصولها: خروج الحديد من المقبض. والنصول في كل شيء: الخروج، والإنصال: الإخراج، ولقد شبه رؤوس الإبل مع أعناقها بالفؤوس. ينظر: ديوانه ص (٢٢٢)، ولسان العرب (١٨٩/٣) (رود).

(٢) الإرادة هنا مجاز عن التوجه. ويجوز أن الإسناد مجاز، لأن المرید صاحب الرمح. والأوجه أنه شبه الرمح بإنسان على طريق المكنية، وإسناد الإرادة والعدول إليه تخييل، أي: يريد أن يشرب من صدر أبي براء، لا من دماء هؤلاء. ينظر: لسان العرب (١٨٩/٣) (رود).

(٣) لحسان بن ثابت، ولفقت الشيء: طويته وأدرجته، من باب رد. والشمل: المتفرق، ويطلق على المجتمع من الأمور. وجمل: اسم محبوته. ويروي: بسعدى. يقول: إن الدهر الذي يجمع شملي بمحبوتي لدهر يهم بالإحسان ويريده، وهم من باب رد أيضاً، أي: دهر يريد الإحسان لا الإساءة كعادة الدهر، فشبه الزمان بإنسان يصح منه إرادة الإحسان على طريق المكنية، والهم تخييل. ويحتمل أن إسناد الهم له مجاز عقلي كإسناد اللف، وهما في الحقيقة لله.

ينظر: لسان العرب (٢٩٣/٤) (دهر)، وتهذيب اللغة (١٩٢/٦)، وديوان الأدب (١٠٧/١)، وتاج العروس (٣٤٦/١١) (دهر).

(٤) تقدم.

[ومن الرجز]:

تَقُولُ سَيْئِي لِلنُّوَاةِ طَيْئِي

[ومن البسيط]:

لَا يَنْطِقُ اللَّهْوُ حَتَّى يَنْطِقَ الْعُودُ<sup>(١)</sup> .....

[ومن الكامل]:

وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمَّحُمِ<sup>(٢)</sup> .....

[ومن الطويل]:

فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقاً وَهُوَ صَادِقِي<sup>(٣)</sup> .....

(ولما سكت عن موسى الغضب) [من الطويل]:<sup>(٤)</sup>

تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزُّ الْأَبْلَقُ<sup>(٥)</sup> .....

ولبعضهم: [ومن الكامل]:

(١) فاستنطق العود قد طال السكوت به لا ينطق اللهو حتى ينطق العود

لأبي نواس، شبه صوت العود على وجه الاستقامة والحسن بالنطق بالغناء على طريق التصريحية. أو شبه العود بإنسان على طريق المكنية والنطق تخييل، والسين والتاء للطلب، والسكوت ترشيح لذلك؛ لأنه ضد التكلف. والمراد بنطق اللهو زيادته وحسنه، فهو من باب المشاكلة، وهل هي حقيقة أو مجاز أو كناية أو قسم رابع؟ خلاف بين القوم بين في البيان.

(٢) فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحمم

لو كان يدري ما المحاوراة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي لعنترة بن شداد من معلقته، يصف فرسه بأنه ازور أي مال من وقوع الرماح بلبانه، وهو موضع اللبب من صدره، وشبهه بالعاقل على طريق المكنية والشكاية تخييل، والعبرة: البكاء. والحمممة: صوت الصهيل يشبه الحنين، لو كان يعلم ما هي المحاوراة والمخاطبة لاشتكى إلي وخاطبني حقيقة، وإنما يشكو إلي بالعبرة والتحمحمم فقط. وفسره بقوله: ولكان مكلماً لي لو علم الكلام، وذلك مبالغة في شدة الحرب.

(٣) لهفي على القوم الذين تجمعوا بذئ السيد لم يلقوا علياً ولا عمرا

فإن يك ظني صادقاً وهو صادقني بشملة يحبسهم بها محبساً وعرا  
نكتز أم شملة بن برد المنقري، وذو السيد - بالكسر -: موضع المعركة، والسيد: الذئب. وقولها «وهو صادقني» اعتراض. وبشملة: متعلق بظني. تقول: يا تلهفي على القوم الذين اجتمعوا في ذلك العوض ولم يلاقهم أحد هذين الفارسين، فقتلوا برداً أبا شملة. فإن يك ظني به صادقاً مع أن عادته يصدقني، يحبسهم شملة في تلك المعركة حبساً صعباً فيأخذ ثأر أبيه. ويجوز أن محبساً ظرف يدل من بها. وشبهت الظن بمن يصح منه الصدق في الخير على طريق الكناية، والصدق تخييل لذلك. أو المعنى: فإن يك ظني مطابقاً للواقع.

(٤) وقد قالت الزبا لحصن سموه تمررد ماردا وعز الأبلق

مارد: هو حصن دومة الجندل. والأبلق: حصن سموال، قصدتهما الزبا ملكة الجزيرة فاستصعبا =

يَأْبَى عَلَى أَجْفَائِهِ إِغْمَاءَهُ هُمْ إِذَا انْقَادَ الْهُمُومُ تَمَرُّدًا<sup>(١)</sup>  
[ومن الكامل]:

أَبَتْ الرُّوَادِفُ وَالْثُدِي لِقْمَصِهَا مَسَّ الْبُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورًا<sup>(٢)</sup>  
(قالتا أتينا طائعين): ولقد بلغني أن بعض المحرفين لكلام الله - تعالى - ممن لا يعلم، كان يجعل الضمير للخضر؛ لأن ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم، أراه أعلى الكلام طبقة أدناه منزلة، فتمحل ليرده إلى / ٢١٣ ب ما هو عنده أصح وأفصح، وعنده أن ما كان أبعد من المجاز كان أدخل في الإعجاز، وانقض: إذا أسرع سقوطه، من انقضاض الطائر وهو يفعل، مطاوع قضضته، وقيل: أفعال من النقض، كاحمر من الحمرة، وقرئ: «أن ينقض» من النقض، و «أن ينقص»؛ من انقاصت السن إذا انشقت طولاً؛ قال ذو الرمة [من البسيط]:

= عليها، فقالت ذلك، وصار يضرب مثلاً. وقوله: لحصن سموا، أي: ولحصن دومة الجندل. تمرد: صار أملس ناعماً، ومرد مرداً ومرودة، إذا كان أملس لا شعر فيه والمكان لا نبات فيه، أو تمرد بمعنى تشيطن، وفعل أهله فعل المردة من الجن، فهو لا يستطيع أحد طلوعه. وعز إن كان مضارعه بضم العين كان متعدياً بمعنى غالب، وإن كان بكسرها كان لازماً بمعنى امتنع. والمعنى: أنها لم تقدر على بلوغ مرادها منهما لشجاعة أهلها.

(١) للزمخشري. والهم: ما يهتم به، وهو فاعل. والإغفاء: النوم الخفيف، وهو مفعول، وذلك مجاز عن تسبب الهم في منع النوم. وانقياد الهموم: مجاز عن سكونها، وتمرد الهم مجاز عن تزايد وكثرة خطوره بالبال. أو شبه الهموم بحيوانات يصح منها الانقياد والتمرد على طريق المكنية، والتمرد ضد الانقياد، وهما تخيل.

(٢) أبَتْ الروادف والثدي لقمصها مس البطون وأن تمس ظهوراً  
وإذا الرياح مع العشي تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيورا

الإباء: المنع الاختياري فشب الروادف والثدي لكيرها بمن يصح منه ذلك على طريق المكنية والإباء تخيل. والأقرب أنه مجاز مرسل، والمراد به مطلق المنع، والكلام بعد ذلك كناية عن نهود ثديها وكبر ردفها وضمور خصريها. وفيه لف ونشر غير مرتب، لأن مس البطون يرجع للثدي، ومس الظهر يرجع للروادف. وعبر بالجمع عن غيره مجازاً. أو اعتبر الأجزاء، فالتجوز في مفرد الجمع. والثدي بالتشديد: جمع ثدي بالتخفيف. والقمص: جمع قميص. وتناوح الجبلان. تقابلاً، فالمراد بالتناوح: التقابل، بحيث يجيء بعض الرياح من أمامها وبعضه من خلفها، فتظهر روادفها ونهودها وتلتصق الثياب بخصرها فيظهر ضموره، فتنبه الحاسدة لها، ويهيج الغيور لكراهة ذلك من الرياح. وهاج الشيء: هام، وهاجه: هيمه، وهيجه: هيمه. وما هنا من الوسط. ويجوز أنه شبه على طريق المكنية. أو شبه أصواتها اللينة بالتناوح على طريق التصريح، ثم جعل ذلك كناية عن تقابلها لأنها إنما يكون لها أصوات إذا تقابلت فاضطربت، ومع: بمعنى في.

البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة في الشعر المنسوب إليه (٤٩٢) وفي الحماسة (٩٣/٢) ووصف المباني ص (٤٣٢).

..... مِنْقَاصٌ وَمُنْكَشِبٌ<sup>(١)</sup>

بالصاد غير معجمة، ﴿فَأَقَامَهُ﴾، قيل: أقامه بيده، وقيل: مسح بيده فقام واستوى، وقيل: أقامه بعمود عمده به، وقيل: نقضه وبناءه، وقيل: كان طول الجدار في السماء مائة ذراع، كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم، وقد لزمتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة، فلم يجدا مواسياً؛ فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، وطلبت على عملك جعلاً حتى نتعش ونستدفع به الضرورة، وقرئ: «لتخذت»، والتاء في «تخذ»: أصل كما في تبع، واتخذ افتعل منه، كاتبع من تبع، وليس من الأخذ في شيء.

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأَلْتُكَ بِأَوْبِلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

فإن قلت: ﴿هَذَا﴾: إشارة إلى ماذا؟

قلت: قد تصوّر فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى - عليه السلام -: «إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، فأشار إليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه، كما تقول: هذا أخوك، فلا يكون «هذا»: إشارة إلى غير الأخ، ويجوز أن يكون إشارة إلى السؤال الثالث، أي: هذا الاعتراض سبب الفراق، والأصل: هذا فراق بيني وبينك، وقد قرأ به ابن أبي عبلة، فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾

﴿لِمَسْكِينٍ﴾ قيل: كانت لعشرة إخوة، خمسة منهم زمني، وخمسة يعملون في البحر، ﴿وَرَاءَهُمْ﴾: أمامهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وقيل: خلفهم، وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره، فأعلم الله به الخضر وهو: «جلندي»<sup>(٢)</sup>.

(١) يغشى الكناس بروقيه ويهدمه من هائل الرمل منقاص ومنكشب  
لذي الرمة يصف ثوراً وحشياً. والكناس: بيت الوحش. ورواقه: قرناه. والمنقاص - كالمختار -: المتساقط من جانب طول الكناس. والمنكشب - بالمثلثة -: المجتمع. وروي: منقاص، بالمعجمة. والمعنى واحد، أي: يحفر الكناس بقرنيه، ليستتر من المطر، ويهدمه المتساقط المجتمع من الرمل الرخو الهائل.

ينظر: ديوانه ص ٨٨، وأساس البلاغة (قيص)، وجمهرة أشعار العرب ص ٩٥٧، وتاج العروس (قيص)، وبلا نسبة في كتاب العين ١٨٥/٥.

(٢) قوله: «هو جلندي»: في الخازن: وكان اسمه الجلندي الأزدي، وكان كافراً. وقيل: كان اسمه حرد بن برد (ع).

فإن قلت: قوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب<sup>(١)</sup>، فلم قدم عليه؟

قلت: النية به التأخير، وإنما قدم للعناية، ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده؛ ولكن مع كونها للمساكين، فكان بمنزلة قولك: زيد ظني مقيم، وقيل في قراءة أبي وعبد الله: «كل سفينة صالحة».

﴿وَأَمَّا الْفُلُكُمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٦﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَيْبُهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٧﴾﴾

وقرأ الجحدري: «وكان أبواه مؤمنان»، على أن «كان»: فيه ضمير الشأن، ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: فخشنا أن يغشى الوالدين المؤمنين؛ طغياناً عليهما، وكفراً؛ لنعمتهما بعقوبه وسوء صنيعه، ويلحق بهما شراً وبلاء، أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره، فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر، أو يعديهما بدائه ويضللها بضلاله، فيرتدا بسببه، ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان، وإنما خشي الخضر منه ذلك؛ لأن الله - تعالى - أعلمه بحاله وأطلعته على سر أمره، وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته، وفي قراءة أبي: «فخاف ربك»، والمعنى: فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره، ويجوز أن يكون قوله: (فخشينا): حكاية لقول الله تعالى، بمعنى: فكرهنا؛ كقوله: (لأهب لك)، وقرئ: «يبدلها»: بالتشديد، والزكاة: الطهارة والنقاء من الذنوب، والرحم: الرحمة

(١) قال محمود: «إن قلت قوله ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مسبب عن خوف الغصب عليها... الخ» قال أحمد: وكأنه جعل السبب في إعيابها كونها لمساكين، ثم بين مناسبة هذا السبب للمسبب بذكر عادة الملك في غضب السفن، وهذا هو حد الترتيب في التعليل أن يرتب الحكم على السبب ثم يوضح المناسبة فيما بعد، فلا يحتاج إلى جعله مقدماً والنية تأخيره، والله أعلم. ولقد تأملت من فصاحة هذه الآي والمخالفة بينها في الأسلوب عجباً. ألا تراه في الأولى أسند الفعل إلى ضميره خاصة بقوله ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وأسندته في الثانية إلى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَيْبُهُمَا﴾ و﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا﴾ ولعل إسناد الأول إلى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله تعالى، لأن المراد ثم عيب، فتأدب ثم نسب الإعياب إلى نفسه. وإما إسناد الثاني إلى الضمير المذكور، فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك: أمرنا بكذا، أو دبرنا كذا، وإنما يعنون أمر الملك ودبر، ويدل على ذلك قوله في الثالثة ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ فانظر كيف تغيرت هذه الأساليب ولم تأت على نمط واحد مكرر يمجها السمع وينب عنها، ثم انفجرت هذه المخالفة على رعاية الأسرار المذكورة، فسبحان اللطيف الخبير.

والعطف، وروي أنه ولدت لهما جارية تزوجها نبي، فولدت نبياً هدى الله على يديه أمة من الأمم، وقيل: ولدت سبعين نبياً، وقيل: أبدلهما ابناً مؤمناً مثلهما، قيل: اسما الغلامين: أصرم، وصريم، والغلام المقتول: اسمه الحسين، واختلف في الكنز، فقيل: مال مدفون من ذهب وفضة (٩٠٤)، وقيل: لوح من ذهب مكتوب فيه: عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله (٩٠٥)، وقيل: صحف فيها

٩٠٤ - أخرجه الترمذي (٣١٣/٥) كتاب التفسير: باب ومن سورة الكهف حديث (٣١٥٢)، والحاكم (٢/٣٦٩) من طريق يزيد بن يوسف عن يزيد بن يزيد بن جابر عن مكحول عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعاً وقال الترمذي: حديث غريب. وقال الحاكم: صحيح. وتعقبه الذهبي فقال: يزيد بن يوسف متروك، وإن كان حديثه أشبه ما روي في تفسير الكنز، والحديث ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣٠٧/٢) وعزاه أيضاً للطبراني في معجمه والبخاري، ونقل قول البخاري: إسناده حسن، ويزيد بن يوسف ليس به بأس، ومن قبله وبعده ثقات أ.هـ. قلت: وكلام البخاري - رحمه الله - فيه نظر؛ فالجمهور على تضعيف هذا الرجل، وقال الذهبي في «الكشاف» (٢٨٨/٣): واه، وقال في «ديوان الضعفاء» (٤٧٥٤): تركوه. وقال الحافظ في «التقريب» (٣٧٢/٢): ضعيف. وينظر «تهذيب التهذيب» (٣٧٣/١١).

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الترمذي، والحاكم، والبخاري، والطبراني، وابن عدي من طريق مكحول، عن أم الدرداء عن أبي الدرداء، وفيه يزيد بن الصنعاني وهو ضعيف.

٩٠٥ - روي هذا مرفوعاً، وموقوفاً. أما المرفوع فأخرجه البخاري كما في «تخريج الكشاف» (٣٠٧/٢)، وقال: لا نعلمه يروي عن أبي ذر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد. وورد مرفوعاً أيضاً من حديث أنس بن مالك أخرجه الواحد في «الوسيط» (١٦٢/٣) - بتحقيقنا - من طريق ضرار بن سرد ثنا محمد بن مروان ثنا أبان عن أنس به مرفوعاً. قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: وأبان والسدي الصغير متروكان. ومن طريق محمد بن مروان السدي أخرجه ابن شاهين في كتاب الجنائز؛ كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٣٠٩/٢) وورد مرفوعاً أيضاً من حديث علي بن أبي طالب أخرجه ابن مردويه؛ كما في «تخريج الكشاف» (٣٠٨/٢) أما الموقوف:

فورد عن ابن عباس، أخرجه الطبراني في «الدعاء» كما في «تخريج الكشاف» (٣٠٨/٢) من طريق رشدين بن سعد عن أبي حازم عن ابن عباس موقوفاً، وله طريق آخر أخرجه الدارقطني في غرائب مالك. من طريق محمد بن صالح بن فيروز عن مالك عن نافع عن ابن عمر سئل ابن عباس به. وقال الدارقطني: هذا باطل عن مالك وجعفر بن محمد ومحمد بن صالح مجهولان.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه البخاري من رواية ابن حجرية عن أبي ذر مرفوعاً بهذا، وأتم منه، وقال: لا نعلمه عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد. وروي الدارقطني في غرائب مالك من طريق محمد بن صالح بن فيروز، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر قال: «سئل ابن عباس عن الكنز. فذكره - وقال: هذا باطل عن مالك. وروي ابن عدي. من رواية أبان بن سفيان والطبراني في الدعاء، من رواية رشدين بن سعد =

علم، والظاهر لإطلاقه: أنه مال، وعن قتادة: أحل الكثر لمن قبلنا وحرّم علينا، وحرّمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا: أراد قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾. ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾: اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما، وعن جعفر بن محمد الصادق: كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء، وعن الحسين بن علي - رضي الله تعالى عنهما - أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين؟ قال: بصلاح أبيهما، قال: فأبي وجدّي خير منه، فقال: قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون، ﴿رَحْمَةً﴾: مفعول له، أو مصدر منصوب بأراد ربك؛ لأنه في معنى: رحمهما، ﴿وَمَا فَعَلْتُمْ﴾: وما فعلت ما رأيت، ﴿عَنْ أَمْرِي﴾: عن اجتهادي ورأيي؛ وإنما فعلته بأمر الله.

﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٦﴾ إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَايَيْنْتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًا ﴿٨٧﴾ فَأَتْبَعَ سَبِيًا ﴿٨٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْفَرْقِنِينَ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٩﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٩٠﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُرْمَىٰ ﴿٩١﴾﴾.

ذو القرنين: هو الإسكندر الذي ملك الدنيا، قيل: ملكها مؤمنان: ذو القرنين، وسليمان، وكافران: نمرود، ويختنصر (٩٠٦)، وكان بعد نمرود، واختلف فيه، فقيل: كان عبداً صالحاً، ملكه الله الأرض، وأعطاه العلم والحكمة، وألبسه الهيئة، وسخر له النور والظلمة، فإذا سرى يهديه النور من أمامه، وتحوطه الظلمة من ورائه، وقيل: نبياً، وقيل: ملكاً من الملائكة، وعن عمر - رضي الله عنه - أنه سمع رجلاً يقول: يا ذا القرنين، فقال: اللهم، غفراً ما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة، وعن علي - رضي الله عنه -: سخر له السحاب، ومدّت له الأسباب، وبسط له

= كلاهما عن أبي حازم عن ابن عباس نحوه، وعن علي مثل لفظ المصنف أخرجه البيهقي في الشعب من رواية جويبر عن الضحاك، عن النزال بن سيرة عنه. وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عن علي مرفوعاً. ورواه ابن شاهين في الجنائز. والواحدي من رواية محمد بن مروان السدي الصغير: عن أبان عن أنس مرفوعاً أيضاً. وأبان والسدي الصغير متروكان. انتهى.

٩٠٦ - قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣٠٩/٢): رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الفضائل بسنده عن مجاهد.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد. قال: «لم يملك الأرض منها إلا أربعة: مؤمنان، وكافران فذكره». انتهى.

النور، وسئل عنه، فقال: أحبه الله فأحبه / ٢١٤ أ، وسأله ابن الكوا: ما ذو القرنين؟ أملك أم نبي؟ فقال: ليس بملك ولا نبي، ولكن كان عبداً صالحاً، ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات، ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله، قيل: كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونهم فيحبيه الله تعالى، وعن النبي ﷺ: «سُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ لِأَنَّهُ طَافَ قَرْنِي الدُّنْيَا» (٩٠٧). يعني: جانبها شرقاً وغرباً، وقيل: كان له قرنان، أي: ضفيريّتان، وقيل: انقرض في وقته قرنان من الناس، وعن وهب: لأنه ملك الروم وفارس، وروى: الروم والترك، وعنه: كانت صفحتا رأسه من نحاس، وقيل: كان لتاجه قرنان، وقيل: كان على رأسه ما يشبه القرنين، ويجوز أن يلقب بذلك؛ لشجاعته، كما يسمى الشجاع: كبشاً؛ لأنه ينطح أقرانه، وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره، والسائلون: هم اليهود، سألوه على جهة الامتحان، وقيل: سأله أبو جهل وأشياعه، والخطاب في: ﴿عَلَيْكُمْ﴾: لأحد الفريقين، ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: من أسباب كل شيء، أراد من أغراضه ومقاصده في ملكه، ﴿سَبَبًا﴾: طريقاً موثقاً إليه، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة، فأراد بلوغ المغرب، ﴿فَأَتَعَ سَبَبًا﴾: يوصله إليه حتى بلغ؛ وكذلك أراد المشرق، فأتابع سبباً، وأراد بلوغ السدّين فاتبع سبباً، وقرئ: «فاتبع»، قرئ: «حمئة»: من حمئت البئر: إذا صار فيها الحمأة، وحامية بمعنى: حارة، وعن أبي ذر: كنت رديف رسول الله - ﷺ على جمل، فرأى الشمس حين غابت، فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَذَرِي أَيْنَ تَغْرُبُ هَذِهِ؟» فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فَأَيْنَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَامِيَةٍ» ح (٩٠٨)، وهي قراءة ابن مسعود، وطلحة، وابن

٩٠٧ - قال الزيلعي (٣٠٩/٢): غريب. ورواه الدارقطني في كتاب «المؤتلف والمختلف» من قول الزهري، فقال: حدثنا مسلم بن عبد الله الحسيني ثنا الخضر بن داود ثنا الزبير بن بكار ثنا إبراهيم ابن المنذر ثنا عبد العزيز بن عمران عن سليمان بن أسيد عن الزهري قال: إنما سمي ذا القرنين؛ لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها فسمي ذا القرنين. أ.هـ. وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

لم أجده مرفوعاً، وإنما رواه الدارقطني في المؤتلف. من رواية عبد العزيز بن عمران. عن سليمان ابن أسيد عن الزهري قال: إنما سمي ذا القرنين؛ لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها. انتهى.

٩٠٨ - قال الحافظ بن حجر: كذا في نسخ الكشاف: على جمل، والذي في كتب الحديث على حمار ولم يصرح فيه بالإرداف. أ.هـ. والحديث أخرجه أبو داود (٣٧/٤) كتاب الحروف والقراءات: باب (١) حديث (٤٠٠٢) والحاكم (٢/٢٤٤) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

كذا في نسخ الكشاف «على جمل». والذي في كتب الحديث «على حمار» ولم يصرح فيه =

عمر، وابن عمرو، والحسن، وقرأ ابن عباس: «حمئة»، وكان ابن عباس عند معاوية، فقرأ معاوية: «حامية»، فقال ابن عباس: حمئة، فقال معاوية لعبد الله بن عمرو: كيف تقرأ؟ قال: كما يقرأ أمير المؤمنين، ثم وجه إلى كعب الأحبار، كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطين، كذلك نجد في التوراة، وروي: في ثأط، فوافق قول ابن عباس، وكان ثمة رجل، فأنشد قول تبع [من الكامل]:

فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ مَآبِهَا فِي عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَثَأطِ حَزْمَدٍ<sup>(١)</sup>  
أي: في عين ماء ذي طين وحملاً أسود، ولا تنافي بين الحمئة والحامية، فجانز أن

بالإرداف. عن أبي داود، والحاكم من طريق الحكم بن عيينة عن إبراهيم التيمي عن أبيه، عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: «كنت مع رسول الله ﷺ وهو على حمار، والشمس عند غروبها فقال: «هل تدري أين تغرب هذه؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تغرب في عين حامية» زاد الحاكم: «غير مهموزة». ورواه ابن أبي شيبة، وأحمد وأبو يعلى، والبيزار، وزاد: «وتنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش، فإذا كان خروجها أذن الله لها وإذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها، فيقول. اطلعي من حيث غربت. فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها» وقال تفرد به سفيان بن حسين عن الحاكم. ورواه الجماعة عن إبراهيم التيمي. وهو في الصحيحين دون قوله «تغرب في عين حامية» وأوله «كنت مع النبي ﷺ جالساً الحديث. انتهى.

(١) قد كان ذو القرنين جدي مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتسجد  
بلغ المغارب والمشارق يبتغي أسباب أمر من حكيم مرشد  
فراى مغار الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثأط حرمد

لتبع الأكبر اليماني المذكور في القرآن، يفتخر بجده اسكندر ذي القرنين بن فيلسوف اليوناني. ويروي: مرءاً، بدل جدي. وتدين أي تنقاد. وروي بدله: «علا في الأرض غير مفند» أي غير مكذب، فلا عيب في القافية والخلب - بضم تين - : الحمأة وهي الطين. والثأط: الحمأة المختلطة بالماء، فتزيد رطوبة وتفسد. والحرمد: الطين الأسود. مدح ذا القرنين ثم قال: إنه بلغ مواضع غروب الشمس ومواضع شروقها، يبتغي من الله أسباباً توصله لمقصده، فرأى محلى غيار الشمس عند مآبها، أي رجوعها إليه. ويروي مآب الشمس عند مغيبها: أي غيبوتها. وفي عين: متعلق بغار. أو بمحذوف، أي: رأها تغرب في عين. ويجوز أنه حال من المغار؛ لأن العين أوسع منه، أي في عين ماء ذي طين أسود مختلط بماء، وهذا موافق لظاهر الآية. وأولها أبو علي الجبائي بأن ذلك على سبيل التخييل، كما أن من لم ير الشاطئ الغربي من البحر المتسع يرى الشمس تغرب فيه، وفي الحقيقة تغرب في ظلمة وراء الأبيض، لأن الأرض كروية.

وهو لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص ٢٦، ولسان العرب (حرمد)، (ثأط)، ومقاييس اللغة ١/ ١٥٤، وتهذيب اللغة ٤١٨/٧، وتاج العروس (أوب)، (حرمد)، (ثأط)، وتلح في تاج العروس (خلب)، ولسان العرب (أوب)، (خلب)، (حرمد)، وكتاب العين ٤/ ٢٧٠، ٤١٧/٨، وتهذيب اللغة ٥/ ٣٣٠، ٥/ ١٤، ٦٠٧/١٥، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ٣٩٨، وجمهرة اللغة ص ١١٤٠.

تكون العين جامعة للوصفين جميعاً، كانوا كفره فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام، فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم، فقال: أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك؛ فذلك هو المعذب في الدارين، ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ﴾: ما يقتضيه الإيمان، ﴿فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنُ﴾، وقيل: خيره بين القتل والأسر، وسماه إحساناً في مقابلة القتل، (فله جزاء الحسنى): فله أن يجازي المشوبة الحسنى، أو فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة، وقرئ: «فله جزاء الحسنى»، أي: فله الفعلة الحسنى جزاء، وعن قتادة: كان يطبخ من كفر في القدور، وهو العذاب النكر، ومن آمن أعطاه وكساه، ﴿وَمِنْ أَمْرٍ يُتْرَكُ﴾ أي: لا نأمره بالصعب الشاق، ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك، وتقديره: «ذا يسر»؛ كقوله: ﴿قَوْلًا تَيَسَّرَ﴾، وقرئ: «يُسْرًا»: بضمين.

﴿ثُمَّ أُنْعَمَ سَبَبًا﴾ (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ (٩١) ﴿

وقرئ: مطلع، بفتح اللام وهو مصدر، والمعنى: بلغ مكان مطلع الشمس؛ كقوله [من الطويل]:

كَأَنَّ مَجْرُ الرَّامِسَاتِ ذُبُولَهَا ..... (١)

يريد: كأن آثار مجر الرامسات؛ ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ قيل: هم الزنج، والستر: الأبنية؛ وعن كعب: أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب؛ فإذا طلعت الشمس دخلوها، فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معاشهم، وعن بعضهم: خرجت حتى جاوزت الصين، فسألت عن هؤلاء فقيل: بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة، فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس

(١) كأن مجر الرامسات ذبولها عليه قضيم نمقته الصوانع للناطقة، والمجر ليس مكان الجر، وإنما هو مصدر بمعنى الجر، لأنه لو كان اسم مكان لما عمل النصب، ثم يجب تقدير مضاف ليصح الإخبار عنه بأنه قضيم أي موضع مجر، أي كان المحل الذي تجر الرياح الرامسات ذبولها عليه قضيم، أي جلد أبيض نمقته وحسته الصوانع للكتابة. وسميت الرياح رامسات من الرمس أي التغيب؛ لأنها تحمل التراب وتلقيه على الأثار فيدنفها. واستعار الذبول لما يلي الأرض من الرياح على طريق التصريح. ويجوز أن تشبه الرياح بنساء لثيابهن ذبول طويلة يحرنها على الأرض، والذبول تخييل. ينظر: ديوانه ص ٣١، وجمهرة اللغة ص ٩٧٧، وخرزاة الأدب ٤٥٣/٢، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٧٤، وشرح شواهد الشافية ص ١٠٦، وشرح المفصل لابن يعيش ١١٠/٦، ١١١، ولسان العرب، (ذبل)، (قضم)، وتاج العروس (نمق)، (ذبل)، (قضم)، وبلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب ١٦/٢، وشرح عمدة الحفاظ ص ٧٣٣.

الأخرى، ومعني صاحب يعرف لسانهم، فقالوا له: جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس؟ قال: فيينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة<sup>(١)</sup>، فغشى عليّ، ثم أفقت وهم يمسخونني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت، فأدخلونا سرباً لهم، فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم، وقيل: الستر: اللباس، وعن مجاهد: من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض، ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: أمر ذي القرنين كذلك، أي: كما وصفناه تعظيماً لأمره، ﴿وَقَدْ أَحْطَأْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾: من الجنود والآلات وأسباب الملك، ﴿خَبْرًا﴾: تكثريراً لذلك، وقيل: لم نجعل لهم من دونها ستراً مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس، والثياب من كل صنف، وقيل: بلغ مطلع الشمس مثل ذلك، أي: كما بلغ مغربها، وقيل: تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم، يعني: أنهم كفره مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر، وإحسانه إلى من آمن منهم.

﴿ثُمَّ أَنْعَسَ سَبِيًّا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾: بين الجبلين، وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما، قرئ: بالضم والفتح، وقيل: ما كان من خلق الله - تعالى - فهو مضموم، وما كان من عمل العباد فهو مفتوح؛ لأن السد بالضم فعل بمعنى: مفعول، أي: هو مما فعله الله تعالى وخلقه، والسد - بالفتح -: مصدر حدث يحدثه الناس، وانتصب (بين): على أنه مفعول به مبلوغ، كما انجز على الإضافة في قوله: (هذا فراق بيني وبينك)، وكما ارتفع في قوله: (لقد تقطع بينكم)؛ لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً، وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق، ﴿مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾: هم الترك ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة، ونحوها كما يفهم البكم، وقرئ: يفقهون، أي: لا يفهمون السامع / ٢١٤ ب كلامهم ولا يبينونه؛ لأن لغتهم غريبة مجهولة.

﴿قَالُوا يَنْدَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ حَرْمًا عَلَّ أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

(١) قوله: «إذ سمعنا كهيئة الصلصلة» في الصحاح «الصلة» واحدة الصلال، وهي القطع من الأمطار المتفرقة يقع منها الشيء بعد الشيء، وصلصلة اللجام: صوته إذا ضوعف (ع).

﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: اسمان أعجميان؛ بدليل منع الصرف، وقرنا: مهموزين، وقرأ روبة: آجوج وماجوج، وهما من ولد يافث، وقيل: يأجوج من الترك، وماجوج من الجليل والديلم<sup>(١)</sup>، ﴿مُقِيدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل: كانوا يأكلون الناس، وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه، وكانوا يلقون منهم قتلاً وأذى شديداً، وعن النبي ﷺ في صفتهم: «لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَلْفِ ذَكَرٍ مِنْ صُلْبِهِ، كُلُّهُمْ قَدْ حَمَلَ السَّلَاحَ» (٩٠٩). وقيل: هم على صنفين، طوال مفرطو الطول، وقصار مفرطو القصر، قرئ: «خرجا»، و«خراجا»، أي: جعلنا نخرجه من

٩٠٩ - أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٤/٦)، والواحد في «الوسيط» (١٦٦/٣ - بتحقيقنا)، والطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (٩/٨)، والطبري في «تفسيره» (٦٩/١٧)، وابن مردويه والثعلبي كما في «تخريج الكشاف» (٣١١/٢)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٠٦/١)؛ كلهم من طريق يحيى بن سعيد، عن محمد بن إسحاق عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة مرفوعاً، وقال ابن عدي: هذا حديث منكر موضوع، ومحمد بن إسحاق هذا ليس هو صاحب المغازي، وإنما هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن عكاشة بن محبصن الأسدي. وقال ابن الجوزي: ومحمد بن إسحاق هو العكاشي قال يحيى بن معين: كذاب. وقال الدارقطني: يضع الحديث.

قال الحافظ بن حجر في «تخريج الكشاف» وذكره ابن الجوزي من هذا الوجه في الموضوعات، فلم يصب؛ فإن له طريقاً أخرى في صحيح ابن حبان عن ابن مسعود. أ.هـ. أما الشاهد الذي ذكره الحافظ فأخرجه ابن حبان (١٩٠٧ - موارد) من طريق زيد بن أبي أنيسة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن ابن مسعود مرفوعاً. وله شاهد آخر من حديث أوس. أخرجه النسائي في «التفسير» (٣٥٣).

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن عدي، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه، والثعلبي وغيرهم من رواية يحيى بن سعيد، عن محمد بن إسحاق، عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة قال: «سألت النبي ﷺ عن يأجوج وماجوج، فقال: يأجوج أمة، وماجوج أمة، كل أمة أربعة آلاف لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح» قال ابن عدي: هذا موضوع. ومحمد بن إسحاق هذا ليس هو صاحب المغازي، وإنما هو العكاش وذكره ابن الجوزي في الموضوعات من هذا الوجه، فلم يصب، فإن له طريقاً أخرى؛ ففي صحيح ابن حبان عن ابن مسعود مرفوعاً: «إن يأجوج وماجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفاً» وفي النسائي عن عمرو بن أوس عن أبيه رفعه: «أن يأجوج وماجوج يجامعون ما شاؤوا. ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً. وفي المستدرک عن عبد الله بن عمرو رفعه: «إن يأجوج وماجوج من ولد آدم ولن يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً انتهى».

(١) قوله: «من الجليل والديلم» كذا عبارة النسفي أيضاً، ولعله «من جيل الديلم» وفي الصحاح: جيل من الناس، أي: صنف، الترك جيل، والروم جيل. وفيه: الديلم جيل من الناس (ع).

أموالنا؛ ونظيرهما: النول والنوال، وقرئ: «سدا»، و «سدا»: بالفتح والضم.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَعْصِمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَسْقُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَسْقُوا لَمْ نَبْأَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾: ما جعلني فيه مكيئا من كثرة المال واليسار، خير مما تبدلون لي من الخراج، فلا حاجة بي إليه، كما قال سليمان، صلوات الله عليه: (فما آتاني الله خير مما آتاكم)، قرئ بالإدغام وبفكه، ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: بفعله وصناع يحسنون البناء والعمل، وبالآلات، ﴿رَدْمًا﴾: حاجزاً حصيناً موثقاً، والردم: أكبر من السد، من قولهم: ثوب مردم، رقاع فوق رقاع، قيل: حفر الأساس<sup>(١)</sup> حتى بلغ الماء، وجعل الأساس من الصخر. والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد، بينهما الحطب<sup>(٢)</sup> والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثم وضع المنافع حتى إذا صارت كالنار، صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق ببعضه ببعض وصار جبلاً صلدأ، وقيل: بعد ما بين السدين مائة فرسخ، وقرئ: «سوى»، و «سووي»، وعن رسول الله ﷺ أن رجلاً أخبره به فقال: كيف رأيت؟ قال: «كالبرد»<sup>(٣)</sup> المخبر طريفة سوداء وطريفة حمراء. قال: «قد رأيت» (٩١٠) والصدفان - بفتحيتين - : جانبا الجبلين؛ لأنهما يتصادفان أي: يتقابلان، وقرئ:

٩١٠ - أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلأ، وأخرجه أيضاً ابن مردويه، والطبراني في «مسند الشاميين»، والبزار كما في «تخريج الكشاف» للزبيعي (٢/ ٣١٢ - ٣١٣).

- (١) قوله: «قيل حفر الأساس لعله: للأساس (ع).
- (٢) قوله: «بينهما الحطب» لعله: بينها (ع).
- (٣) أخرجه الطبري من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. قال «ذكر لنا أن رجلاً قال: يا رسول الله، قد رأيت سد يأجوج ومأجوج. قال انعته لي قال: كالبرد المحبر. طريفة سوداء وطريفة حمراء قال قد رأيت» ورواه ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة عن سعيد عن قتادة عن رجل من أهل المدينة. أنه قال للنبي ﷺ، رأيت الردم فذكر نحوه، ورواه الطبراني في مسند الشاميين. وابن مردويه عنه من رواية سعيد بن بشير عن قتادة عن رجل عن أبي بكره الثقفي «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فذكر نحوه، لكن قال «طريفة حمراء من نحاس: وطريفة سوداء من حديد» وأخرج البزار من وجه آخر عن يوسف بن أبي مريم الحنفي. قال «بينما أنا قاعد مع أبي بكره إذ جاء رجل فسلم عليه. فقال له أبو بكره من أنت؟ قال تعلم رجلاً أتى النبي ﷺ فأخبره أنه رأى الردم. فقال له أبو بكره: وأنت هو؟ قال: نعم. قال: اجلس حدثنا. قال: انطلقت حتى أتيت أرضاً ليس لهم إلا الحديد يعلمونه». فذكر القصة والحديث. وقال: لا نعلم له رواية عن النبي ﷺ غير أبي بكره.

«الصدفين»؛ بضمّتين، و «الصدفين»: بضمة وسكون، و «الصدفين»: بفتح وضمّة، والقطر: النحاس المذاب؛ لأنه يقطر، و ﴿قَطْرًا﴾: منصوب بأفرغ، وتقديره: آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً، فحذف الأول، لدلالة الثاني عليه، وقرئ: قال: اتنوني، أي: جيثوني، ﴿فَمَا أَصْطَعُوا﴾: بحذف التاء للخفة؛ لأن التاء قريبة المخرج من الطاء، وقرئ: «فما اصطاعوا»: بقلب السين صاداً، وأما من قرأ بإدغام التاء في الطاء، فملاق بين ساكنين على غير الحد، ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: أن يعلوه، أي: لا حيلة لهم فيه من صعود، لارتفاعه وانملاسه، ولا نقب لصلابته وثخائته.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (٩٨)

﴿بِهَذَا﴾: إشارة إلى السد، أي: هذا السد نعمة من الله، و: ﴿رَحْمَةً﴾: على عباده، أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾: يعني: فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي جعل السد، ﴿دَكَّاءَ﴾ أي: مذكوكاً مبسوطاً مسوّى بالأرض، وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندك، ومنه: الجمل الأدك: المنبسط السنام، وقرئ: دكاء، بالمد، أي: أرضاً مستوية، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾: آخر حكاية قول ذي القرنين.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَّعْنَهُمْ جَمْعًا﴾ (٩٩)

﴿وَتَرَكْنَا﴾: وجعلنا، ﴿بَعْضَهُمْ﴾: بعض الخلق، ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ أي: يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى، ويجوز أن يكون الضمير لياجوج ومأجوج، وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد، وروي: يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الشجر، ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس،

أخرجه الطبري من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. قال «ذكر لنا أن رجلاً قال: يا رسول الله، قد رأيت سد يأجوج ومأجوج. قال انعه لي قال، كالبرد المحبر. طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيت، ورواه ابن أبي عمير عن سفيان بن عيينة عن سعيد عن قتادة عن رجل من أهل المدينة. أنه قال للنبي ﷺ، رأيت الردم فذكر نحوه، ورواه الطبراني في مسند الشاميين. وابن مردويه عنه من رواية سعيد بن بشير عن قتادة عن رجل عن أبي بكرة الثقفي «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فذكر نحوه، لكن قال طريقة حمراء من نحاس: وطريقة سوداء من حديد» وأخرج البزار من وجه آخر عن يوسف بن أبي مريم الحنفي. قال «بينما أنا قاعد مع أبي بكرة إذ جاء رجل فسلم عليه. فقال له أبو بكرة من أنت «قال تعلم رجلاً أتى النبي ﷺ فأخبره أنه رأى الردم. فقال له أبو بكرة: وأنت هو؟ قال: نعم. قال: اجلس حدثنا. قال: انطلقت حتى أتيت أرضاً ليس لهم إلا الحديد يعلمونه. فذكر القصة والحديث. وقال: لا نعلم له رواية عن النبي ﷺ غير أبي بكرة. قوله «ثم يبعث الله نغفاً في أفقائهم» أي دوداً، أفاده الصحاح.

ولا يقدر أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس، ثم يبعث الله نغفاً في أفتانهم<sup>(١)</sup> فيدخل في آذانهم فيموتون.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴿١١٥﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾: وبرزناها لهم فأروها وشاهدوها، ﴿عن ذكري﴾: عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتعظيم، أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها؛ ونحوه: صم بكم عمي، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ يعني: وكانوا صماً عنه، إلا أنه أبلغ؛ لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صبح به، وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم<sup>(٢)</sup>، فلا استطاعة بهم للسمع.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ آلِهَاتٍ إِنَّا أَعَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١١٦﴾﴾

﴿عِبَادِي مِنْ دُونِ آلِهَاتٍ﴾: هم الملائكة، يعني: أنهم لا يكونون لهم أولياء؛ كما حكي عنهم: ﴿سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾، وقرأ ابن مسعود: أظن الذين كفروا، وقراءة علي - رضي الله عنه -: «أفحسب الذين كفروا»، أي: أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر، أو على الفعل والفاعل؛ لأن اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل؛ كقولك: «أفائم الزيدان»، والمعنى: أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا، وهي قراءة محكمة جيدة، النزول: ما يقام للنزول وهو الضيف، ونحوه: ﴿فَبَيَّرَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١١٧﴾﴾.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١١٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١١٦﴾﴾

﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾: ضاع وبطل وهم الرهبان، عن علي - رضي الله عنه - (٩١١) كقوله: ﴿عاملة ناصبة﴾ [الفاشية: ٣] وعن مجاهد: أهل الكتاب، وعن علي - رضي الله عنه -: أن

٩١١ - ذكره السيوطي في «الدر المشور» (٤/٤٥٦) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) قوله: «ثم يبعث الله نغفاً في أفتانهم» أي دوداً، أفاده الصحاح (ع).  
 (٢) قوله: «كأنهم أصميت أسماعهم» في الصحاح في مادة صم: أصمه الله فصم. وفي مادة صم بالالف: أصميت الصيد إذا رميته فقتلته، فقوله: أصميت، لعله بمعنى أهلكت بالمرة بحيث لا يمكن أن تسمع (ع).

ابن الكوا سألهم؟ فقال: منهم أهل حروراء (٩١٢)، وعن أبي سعيد الخدري: يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئاً، ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾: فتزدري بهم، ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار، وقيل: لا يقام لهم ميزان؛ لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين، وقرئ: ﴿فلا يقيم﴾: بالياء.

فإن قلت: الذين ضل سعيهم في أي محل هو؟

قلت: الأوجه أن يكون في محل الرفع، على: هم الذين ضل سعيهم؛ لأنه جواب عن السؤال، ويجوز أن يكون نصباً على الذم، أو جراً على البدل، ﴿جَهَنَّمَ﴾: عطف بيان لقوله: (جزاؤهم)<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٧٨﴾﴾

الحول: التحول، يقال: حال من مكانه حولاً؛ كقولك: عادني جبهها عوداً، يعني: لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانهم، وهذه غاية الوصف؛ لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامح للطرف إلى أرفع منه، ويجوز أن يراد نفي التحول وتأکید الخلود.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٥٩﴾﴾

المداد: اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط، ويقال: السمد مداد الأرض، والمعنى: لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مداداً لها، والمراد بالبحر: الجنس، ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ﴾: الكلمات، ﴿وَلَوْ جِئْنَا﴾: بمثل البحر مداداً لنفد - أيضاً - والكلمات غير نافذة، و ﴿مَدَدًا﴾: تمييز؛ كقولك: لي مثله رجلاً، والمدد مثل المداد، وهو ما يمد به، وعن ابن عباس - رضي الله عنه -: بمثله مداداً، وقرأ الأعرابي: ﴿مِدَادًا﴾: بكسر الميم، جمع: مدة، وهي: ما يستمده الكاتب فيكتب به، وقرئ:

٩١٢ - ذكره السيوطي في «الدر المشور» (٤٥٦/٤) وعزاه لابن مردويه.

(١) قوله: «عطف بيان لقوله جزاؤهم الحول» كذا في النسفي أيضاً، لكن المتجه أنه بيان لقوله (ذلك) الذي هو إشارة لما مر في قوله ﴿إنا اعتدنا جهنم للكافرين﴾ (ع).

«ينفذ»: بالياء، وقيل: قال حبي بن أخطب: في كتابكم، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ثم تقرؤون: ﴿وَمَا أُوتِشْتُمْ مِنَ الْآيَاتِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]؛ فنزلت، يعني: أن ذلك خير كثير، ولكنه قطرة من بحر كلمات الله.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدْ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٥﴾

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه، وأن يلقاه لقاء رضا وقبول، وقد فسرنا اللقاء، أو: أضمن كان يخاف سوء لقائه، والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة: أن لا يرائي بعمله وأن لا يبتغي به إلا وجه ربه خالصاً لا يخلط به غيره. وقيل: نزلت في جندب بن زهير قال للنبي ﷺ: «إني أعمل العمل، فإذا اطلع عليه سرنى، فقال: إن الله لا يقبل ماشورك فيه» (٩١٣). وروي أنه قال: «لك أجران: أجر السر، وأجر العلانية» (٩١٤)، وذلك إذا قصد أن يقتدي به، وعنه ﷺ: «اتقوا الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء» (٩١٥). عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكهف من

٩١٣ - قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣١٣/٢) غريب. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (٦٠٤).  
٩١٤ - أخرجه الترمذي (٥٩٤/٤) كتاب الزهد: باب عمل البر حديث (٢٣٨٤) وابن ماجه (١٤١٢/٢) كتاب الزهد: باب الثناء الحسن حديث (٤٢٢٦) والطيالسي (٢٨/٢ - منحة) رقم (١٩٩٩) وابن حبان (٦٥٥ - موارد) وابن عدي في «الكامل» (١٢٠٠/٣) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وقد روى الأعمش وغيره عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن النبي ﷺ مرسلًا وأصحاب الأعمش لم يذكروا فيه عن أبي هريرة. أ.هـ. وصححه ابن حبان. وله شاهد من حديث أبي مسعود الأنصاري أخرجه الطبراني كما في «تخريج الكشاف» (٣١٤/٢). وشاهد آخر من حديث أبي ذر. أخرجه أبو نعيم في الحلية (١١٢/٧).  
٩١٥ - أخرجه أحمد (٤٢٨/٥) من حديث محمود بن لبيد.

قال الزيلعي: رواه أبو القاسم الأصبهاني في كتابه الترغيب والترهيب، من حديث أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه: ثنا دعلج بن أحمد، ثنا حامد بن محمد، ثنا سريج بن يونس، ثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. . . ذكره سواء.  
وبهذا الإسناد رواه الشعلبي في تفسيره سواء. ورواه ابن مردويه في تفسيره في سورة الرعد: ثنا دعلج بن أحمد به سنداً ومتناً، وكذلك رواه في هذه السورة.  
وروى أيضاً: حدثنا سليمان بن أحمد - هو الطبراني -: ثنا أحمد بن حماد بن رغبة، ثنا سعيد بن أبي مريم، ثنا ابن لهيعة، عن عمارة بن غزوة، عن يعلى بن شداد بن أوس، عن أبيه قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر.  
وروى الدارقطني في غرائب مالك، من حديث عبد الرحمن بن محمد بن سلام: ثنا إسحاق بن عيسى الطباع، عن مالك بن أنس، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عاصم بن عمرو بن قتادة، عن محمود بن لبيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا =

آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه. ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء» (٩١٩) وعنه عليه السلام: «من قرأ عند مضجعه (قل إنما أنا بشر مثلكم) كان له من مضجعه نور يتلألأ إلى مكة، حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم، وإن كان مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور، حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ» (٩١٧) / ١ / ٢١٥ أ والله أعلم.

-----  
= رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء». انتهى. ثم قال: غريب من حديث مالك، تفرد به إسحاق الطبايع، وهو ثقة، ولا أعلم رواه عنه غير عبد الرحمن بن محمد بن سلام، وهو من الثقات. انتهى.

ورواه أحمد: ثنا يونس، ثنا ليث، عن يزيد بن الهاد، عن عمرو بن أبي عمرو به.  
ورواه البيهقي في شعب الإيمان، في الباب الخامس والأربعين، من حديث ابن أبي مريم: ثنا ابن أبي الزناد، عن عمرو بن أبي عمرو به.  
٩١٦ - أخرجه أحمد (٤٣٩/٣) من حديث معاذ بن أنس. وفي سننه ابن لهيعة.  
وأخرجه أيضاً ابن السني في «عمل اليوم والليلة» والبيهقي والطبراني والشملي وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٣١٦/٢).  
٩١٧ - أخرجه البزار (٣١٠٨ - كشف) من حديث عمر بن الخطاب. وأخرجه أيضاً إسحاق بن راهويه والشملي وابن مردويه.